

عالمية



روايات

الرجل الهادئ

THE QUIET AMERICAN



روايات عالمية

العدد رقم ٢٨٨

الرجل الهادي

تأليف جبرائيل جبريل

ترجمة كمال عصمت الشريف

الفصل الأول

بعد أن تناولت عشاءى جلست أنتظر « بيل » فى مقرعى المظلة على شارع « كاتيشات » بسايجون ، فلقد واعدنى على اللقاء فى الساعة العاشرة مساء على الأكثر ، وعندما أعلنت الساعة انتصاف الليل لم أستطع صبرا وخرجت من مسكنى الى الشارع .

وكان الشارع به كثير من النساء اللواتى يرتدين « البنطلونات » من دفعتهن حرارة الجو الى ترك منازلهن فلقد كان الوقت فى شهر فبراير والحرارة شديدة مما يجعل النوم فى الفراش متعبدا ، وى سائق « ريكشو » متجها الى النهر ورأيت المصابيح مضاءة حيث أفرغت الطائرات الأمريكية الجديدة ، ولم أر أثرا لبيل فى الشارع وقلت لنفسى ربما ذهب لسبب ما الى مقر البعثة الأمريكية ، وتوقعت أنه اذا كان قد فعل ذلك فلا بد أنه ترك خبرا فى المطعم ، فلقد كان ممن يهتمون بالواجب واللياقة ، واضطرت لأن أدخل المطعم عندما لمحت فتاة تقف فى مدخل المبنى المجاور للمطعم ولم أكن أستطيع رؤية وجهها بل كل ما رأيته هو « بنطلونها » الجريزى الأبيض والرداء « المشجر » الذى ترتديه فوقه ، ورغم ذلك فقد عرفتيا ، فطالما انتظرتنى هى نفسها عند عودتى الى المنزل فى مثل هذا الوقت وهذه الساعة وقلت لها ناديا .

— « قونج » أنه غير موجود فردت على قائلة :

— أنا أعلم لقد رأيتك وحدك من النافذة ،

— يمكنك أن تنتظريه فى المنزل ، عودى فسوف يأتى حالا .

فردت على قائلة :

— سأنتظره هنا .

قللت لها :

« يحسن ألا تنتظريه هنا فقد يقبض عليك رجال البوليس »
لتبعتنى الى المنزل ، وفى الطريق راودتنى أفكار مؤلمة ولم أكن
راغباً فى جرح شعورها أو إيلاام نفسى ، وظللنا سائرين الى المنزل
وعندما مررتا بالنسوة الجالسات فى الطريق سمعناهن يثرثن بكلام
لم أقمه فقالت :

« ماذا تقول تلك النسوة ؟ »

« أهن يقرن اننى قد عدت الى المنزل »

ووصلنا الى المنزل وفى الغرفة رأيت الشجرة التى أعدتها لعيدنا
وأى السنة الصيفية الجديدة قد تنائرت زهورها الصفراء وسقطت
على مفاتيح ألتى الكتانية ، فجمعت الزهور المتناثرة ، وقالت فونج :

« هل هناك اضطرابات فى المدينة ؟ »

« لا أعتقد ذلك فإن « بيل » من لا يسعون الى المتاعب وهو
رجل لا يخلط مواعيد »

وخلعت ربطة العنق والحذاء وتمددت على السرير وأخلت
فونج تقلى الماء لعمل الشاى كما كان الحال منذ سنة شهور ،
وقالت فونج :

« لقد قال لى : انك سوف تسافر قريباً »

« ربما »

« انه يحبك جداً »

« انى أشكره »

ولاحظت انها قد صغقت شعرها بطريقة جديدة ، لقد جالسه
يسترسل على كتفها . وتذكرت أن « بيل » كان قد نفذ طريقة
ترتيبها لشعرها .

واضعفت عيني وفكرت فيها - انها بالنسبة لى تمثل صوت الماء
وهو يلقى وارتطام فنجان الشاى بالطبق - انها تمثل ساعة من
الليل والراحة . وقالت وكأنها تريد أن تعزىنى لغيره :

به انه لن يتأخر طويلا .

واخبرت أفكر فيما يتكلمان عنه اذا التقيا - فلقد كان بيل جادا
أكثر من اللازم وطلبا أرحمقني بمحاضراته عن الشرق الأقصى الذي لم
يعرفه هو الا من بضعة شهور على حين قضيت فيه سنوات طوال .

وكانت الديبوقراطية هي الموضوع الثاني الذي يجب ان يتكلم
فيه ويكثر من الكلام عما تقوم به الولايات المتحدة من أعمال - أما
فونج فكانت ذات جهل مطبق - فلو فرض أن ورد اسم هتلر في
حديثنا لتدخلت وسألت ومن يكون هتلر ؟ وكان الشرح والابضاح
لها صعبا فهي لم تقابل ألمانيا أو بولنديا في حياتها ولم يكن لديها
اية معلومات عن جغرافية أوروبا - في حين أنها كانت تعرف عن
البعض أكثر مما أعرف فهي تعرف عن الأميرة مارجريت أخت ملكة
انجلترا أكثر مما أعرف أنا - وصمعتها تضع الصينية على طرف
السرير وأنا مضطرب عيني - فسألتها :

- أما زال بيل يحبك يا فونج ؟

ومدبت ذراعي قائلا :

- هل هو ...

فصعكت وصمعت صوت اشغال غود كيريت وقالت :

- يحبني ؟

فربما لم تفهم معنى سؤال ثم قالت لي :

- هل أعد لك الشرب ؟

ومرغان ما أعلنت الطاولة ولشملت المصباح وانعكس ظمؤه
المصباح على ملاعبها التي في لون العنبر وهي تنحني فوق اللهب
وقد ركزت اهتمامها وهي تضع الزجاجات على المائدة .

وقلت لها :

- أما زال بيل يشرب ؟

فقالت :

- نعم .

فقلت لها :

— يحسن بك أن تجعليه يقدّم! والأ قلن يعود البقاء »

وانشغلت هي في اعداد المائدة ، وبلغت المسامة المشبعة بجوار
سريري الثانية عشرة والثلاث واستراحت أعصابي وذهبت عني التفكير
في بيل

وقلت لها :

— أنت ؟ علمين أن بيل يصرّك عني حتى للشراب قبل أن أؤي
إلى فراشي وهو لا يحب أن يزججني في مثل هذا الوقت واعتقد أنه
سوف يأتي في الصباح .

وناولتني الكأس التالية وقلت لها وأنا أضطجع في فراشي :

— لا تقلقي عليه فليس ثمة داع للقلق على الإطلاق .

وتناولت وشعة من الكأس وواصلت حديثي معها :

— عندما تركتني وذهبت مع بيل كلان من حسن حظي أنني
معتود الشراب لكي أنسى هناك المتزل الجميل في شارع أورماي .
— لو أحببت — يجب عليك أن تعيشي لدى رجل لا يشرب يا فونج .

فردت قائلة :

— لكنه وعد بأن يزوجني »

فقلت :

— هذا بالطبع موضوع آخر .

ثم قالت :

— هل أمد لك كأسا ثالثة ؟

— نعم .

واخذت أسائل نفسي : هل يمكن أن تبين لدى هذه الليلة لو
أن بيل لم يأت ؟

وقلت لها :

— ان بيل لن يأتي الآن — أرجو أن تبقى عني »

التناولني الكاس وحزنت رأسها ثوبا . وما أن تناولت عدة
بضعات حتى أصبح ويجودها أو علمه ذا أهمية ضئيلة . وقالت :

« لماذا لم يأت بيل ؟ »

« أنى لي أن أعرف السبب ؟ »

« هل ذهب لقابلة الجترال في ؟ »

« لا أعرف عن ذلك شيئا . »

« لقد قال لي أنه ان لم يتناول مشاهه معك فسوف يحضر إليك
إلى منزلك . »

« لا تقلقي - فسوف يحضر . »

لم قلت بصوت عالٍ :

« تمنيت لو كنت بيل . »

وكان إلى من قول هذا محتملا فقد ساعد الشراب على ذلك .
وقرع طوق الباب فقلت :

« بيل ؟ »

« قتالت ؟ »

« لا . أنه ليس هو فليست هذه بطريقة قرعه للباب . »

وقرع الطارق الباب بتفاد صبر - فقفزت من مكانها نافذة الصبر
وهوت شجرة عيد الميلاد فتساقطت أوراقها الصفراء ثابئة على التي
الكتابة . وفتح الباب ودخل رجل وقال :

« مسيو قوليه . »

«

« أنا فرلو . »

ولم يكن في عزمي التهوؤ من أجل أحد رجال البوليس .
وكنت استطيع أن أرى « ينطونه » القصير الكاكي دون أن أرفع
يأبى وقال :

- انك مطلوب حالا في ادارة البوليس *

- ادارة البوليس الفرنسية او الفيتنامية ؟

- الفرنسية *

قلت :

- ولماذا ؟

- لا اعرف *

وأشار الى قونج وقال :

- وانت كذلك *

- خاطب السيدة بلهجة اكثر ادبا * كيف عرفت انها هنا حتى
تطلبها ؟

فقال انه بنقل الأوامر الصادرة له *

- سوف اذهب الى ادارة البوليس صباحا *

- انك مطلوب حالا *

فنهضت ولبست رباط العنق والحذاء فوجدت أعلم ان للبوليس
سلطة واسعة وهو يستطيع ان يسحب اللد * المنوح * لي بالتجوال
ويستطيع ان يحرمي حضور المؤتمرات الصحفية التي تعقد * بل
ايهم يستطيعون ان يحرموني قاشيرة الخروج * بالبلاد في حالة
حرب * وقانونية التصرفات ليست لازمة * وكنت أعرف رجلا غايه
هته طاميه - فلما ذهب يسأل عنه البوليس - قالوا له انهم
أطلقوا سراحه ولا يعلمون عنه شيئا وكذلك كانت عائلته لا تعلم
مكان وجوده منذ ظهوره في البوليس - وقالوا لهم : ربما انضم الى
الشيوعيين * أو انضم الى أحد الحشوش الخاصة بالهيئات المختلفة
في البلاد التي يكثر عددها حول سايجون مثل حشوش الهاو هار أو
الكادريست أو جيش الجنرال لي * وربما كان في أحد السجون
الفرنسية - وقد تكون سعيها يربح الأموال من كسب النساء في
أحد الأعمال - وقد يكون قد أصيب بنوبة قلبية في أثناء استجوابه
وعات *

وقلت لرجل البوليس :

— اننى لن اذهب ماشيا يجب ان استأجر لى عربة ريكسو .
فمن الواجب ان يحافظ الاسان على كرامته .

ولهدا السبب رفضت ان اتناول سيجارة من الضابط الفرنسى
فى ادارة البوليس وانا استطيع ان اتخذ مرارا سريعا بسهولة بدون
ان أقفل عن معنى الأسئلة التى توجه الى — وسألت نفسى : ماذا
يريدونه منى ؟ فلقد قابلت فيجومتش البوليس قبل ذلك فى عدة حملات
— وقد لاحظت انه يحب زوجته التى تتجاهله — وهى سيدة برافة المظهر
شعراء الشعر — وفى ادارة البوليس رأيتة جالسا خلف مكتبه وقد
ظهر عليه التعب والابهك وسط دخان السجائر والحرارة الشديدة
وقد ارتدى عطاء ، فوق عينية أخضر اللون ليحمى نظره من الضوء
وامامه على المكتب كتاب للكاتب الفرنسى « بامسكال » يقطع الوقت
يقرأه — وقد سمعته من استجواب فرج الا فى حضورى موافق على
الفور دون معارضة وهو يتهدد بشكل يمثل ضيقه ونبرمه بالمقام فى
صايجون وشدة الحرارة وبأحوال البشر كافة وقال لى بالانجليزية
— اننى أسف اذا طلبت منك المجيء .

فقلت انه لم يؤخذ رأى فى ذلك بل أمرنى بالحضور ،
فقال :

— ان العيب فى ذلك يرجع الى جهل رجال البوليس من أبناء
البلاد .

و كان يتكلم وعيناه على صفحة الكتاب وقد تاه فى المناقشات التى
يحويها ، ثم قال :

— اننى اريد ان أسالك بعض الأسئلة عن بيل *
— يحسن بك أن توجه هذه الأسئلة الى بيل نفسه ،
ثم أخذ مفتشى البوليس يسأل الفتاة :
« من الذى تمشين مع مسيو بيل ؟ »

– من حوالى شهر – لا أعرف بالتأكيد .

– كم أعطاك نظير اقامتك معه ؟

– فقلت له :

– ليس لك الحق فى أن تسألها هذا السؤال . قالها ليست

صلحة للبيع .

فقال :

– لقد كانت تعيش معك – اليس كذلك – لمدة سنتين .

فقلت :

– اننى مرسل صحفى مقروء فى أن اتتبع أخبار حركتك

وليس لك أن تسألنى من نظامكم المحلى .

فقال :

– ماذا تعرف عن بيل ؟ أرجو أن تجيب من أسألتى بامسئ

فولر . اننى لا أحب أن أوجه هذه الاسئلة – ولكن الأمر « خطير »

– أرجو أن تصدقنى أن الأمر فى غاية الخطورة .

فقلت :

– اننى لست واشيا . كل ما أستطيع أن أقوله لك عن بيل

أن سنه اثنتان وثلاثون سنة – يعمل فى بعثة للمساعدة الاقتصادية

وجنسيته أمريكى .

فقال :

– اتك، تيلو كصديق له .

1

وكان ينظر الى فوتج ودخل أحد رجال البوليس الوطنيين يحمل

ثلاثة أقناع من القهوة وقال فييجو :

– أوتحب أن تشرب الشاي ؟

فلم ارد عليه . وقلت :

– اسى صديق ليلى ولماذا لا أكون ؟ – فسوف أعود الى وطنى

يوما ما – اليس كذلك ؟ . اننى لن أستطيع أن أدخلها معى وسوف

يكون مصيعة معه • فإن هذا ترفيف مقول وصوف يتزوجها •
فلقد قال لها ذلك - وهو كشخص لا بأس به فهو حاد ، وليس أحمق
هؤلاء الزوجين الذين يقيمون في فندق الكونتنتال أنه « أمريكي
هاديء »

وبدا عليه أنه ينظر إلى كلمات على مكتبه فوضح ما عناء يسأله •
رقلت :

- نعم • إنه أمريكي هادئ جدا •

وجلس في مكتبه الشديد الحرارة ينتظر من أحدنا أن نتكلم •
ودخلت فامرسة وهي تطن متأهبة للهجوم ، وأخذت لاحظ فوج •
وبدا عليها أنها لم تفهم ما عناء فيجو لأن معرفتها بالانجليزية كانت
سيئة - وكانت جالسة فوق مقعد الخشب في مكتب البوليس وهي
لا تزال تؤمل لقاء بيل - ورأيت أن فيجو قد سره ذلك وسألني :
- كيف عرفته أول مرة ؟

وسألت نفسي : لماذا أشرح له أن بيل هو الذي عرفني أولا •
فلقد رأيته في سبتمبر الماضي قائما عبر الميدان قاصدا • بار •
الكونتنتال - وشاهدت شايلا غير مالوف ينظر اليها بسرعة وكان
يساقه الطويلتين وشعره القصير ونظراته الصافية يبدو أنه غير
قادر على الإيقاع • وكانت فلانخذ المصوبة على الطريق كلها عسقولة
وتعلم منا وسألني :

- هل تسمح لي بالجلوس معكم ؟
ثم قال بآدب :

- إن اسمي بيل ، وأنا حديث العهد بالمدينة •

وجلس في كرسي وطلب زجاجة بيرة • ثم نظر بسرعة حين دوى
صوت انفجار وقال بلهفة وأمل :

- هل هذا صوت قنبلة يدوية ؟

وقلت وأنا آسف لحببة أمه :

- أكثر هنيئ أنه صوت عادم إحدى السيارات •

ولم يكن صوت القنابل اليدوية يثير اهتمامي لكثيرها بل كنت

أسمي الى ما يمكن أن يسمى بالأخبار الحقيقية وفي الشارع ظهرت
النساء اللواتي وقد ارتدين السراويل الحربية البيضاء ،
« والمسترات المشجرة » المحبوكة ذات الألوان الزاهية المشقوقة من
الجانب ، وأحدث أزيائهن وأنا أفكر في أنني سوف أفتقد منظرهن
عندما أتترك هذه البلاد .

وقال بيل :

— أوهن جميلات أليس كذلك ؟

ونظرت اليه من أعلى كأس البيرة التي أشرعها ووجدت قائلا :
يشير اهتمام :

— آه . طبعاً .

فلقد كان من النوع الجاد ، ثم قال :

— ان الوزير الموس مهتم كثيراً بافجاءات القنابل اليدوية -
لقد أصيب أحد منا فان ذلك يكون مخيفاً .

فقلت :

— أصيب أحد منكم ؟

فقال :

— نعم . اني أرى أن ذلك يكون خطيراً - فان الكونجرس الأمريكي
لن يحب ذلك .

ومالت نفسي : لماذا يحب الانسان أن يضايق السذج فريماً
كان هذا الشخص منذ عشرة أيام فحسب يسير في شوارع بوستن
وذراعاه مملوءتان بالكتب التي قراها عن الشرق الأقصى ومشاكل
الصين . ولكنه لم يظهر عليه أنه سمع ما قلت فلقد كان مشغولاً
بمشاكل الديمقراطية ومسئوليات الغرب ، وبدأ عليه أنه كان قد عقد
عزمه أن يكون متعلماً لا لفرد معين ولكن الى دولة . الى قارة . الى
عالم . حسناً هذا هو العالم كله فليحاول أن يصلح ما فيه من
خطأ .

ومالت فيجبر :

— هل هو في المشرحة ؟

لسمائلتي ؟

« وكيف عرفت أنه مات ؟ »

وكان سؤالا متخيفا غير جدير برجل يقرأ « باسكال » وسكتيفا
كذلك من رجل يصح زوجته بضكل غريب فانت لا تستطيع أن تحب
بغير خيال »

وقلت :

« التي غير عذابي »

كما قلت لنفسى : إن ذلك صديق . ألم يكن بيل يرسم دائما
طريقه بنفسه ويبحث لى أعماق نفسى من أى شعور حتى أمام
ميكوك رجل بوليس فلم أجد شيئا . ونظرت بجذ الى فونج فان
أخبر سيكون صحبا عليها ، فلا بد أنها أحبت بطريقتها . ألم تكن
تهرانى ثم تركتى وذهبت الى بيل . لقد ربطت نفسها بالشباب
والأمل والطرح . ولكن الشباب والامل والطرح قد خيبت ظننها
أكثر من التقدم فى السن والياس . وجلست فى مكانها وهى تنظر
الىنا . وظننت أنها لم تفهم بعد أنه قد مات . وسوف تكون فكرة
صائبة لو استطعت أن أبعدها قبل أن تدرك الحقيقة . وكنت مستعدا
إن أجيب عن كل الأسئلة لو استطعت أن أنهى المقابلة بسرعة لى
أتمكن من أن أقول لها الحقيقة فيما بيننا وبعبارة عن نظرة رجل
البوليس وكرامى مكتبه الخشنة والمصباح المصارى الذى أحاط به
الناموس وقلت لفيجو :

« ما هو الوقت الذى يهيك أن تعرف فيه تحركاتى ؟ »

قال :

« ما بين الساعة السادسة والسابعة »

« أتى تعود تناول مشروب فى السادسة » بالوكالة « التوقيتات
والساعة يرقوننى »

وفى الساعة السادسة وخمسة وأربعين دقيقة تمشيت على
وصيف الميناء لأرى الطائرات الأمريكية وهم يفرغونها ، ورايت
هولكنيز من وكالة الأنباء المتحدة واقفا على باب فندق ماجستيك »

ثم دخلت المينما المجاورة ، ومن المينما توجهت الى مطعم الطاحونة
واعتمد آوى وصلت الى هناك في الثامنة والنصف وتناولت عشاءي
بمعددي وكان هناك « جرانجر » وتستطيع أن تسأله - ثم اخلت
عربي الى المنزل في العاشرة الا الربع وتستطيع أن تعثر على السائق
حيث اني كنت أنتظر بيل في العاشرة ولكنه لم يحضر .

بـ ولماذا كنت تنتظره ؟

— لقد خاطبني طيعونيا . وقال انه يريد أن يراني لأمر هام .

بـ هل لديك فكرة عن هذا الأمر ؟

بـ لا . ان كل شيء كان مهما بالنسبة لبيل .

بـ وعاء الفتاة التي تحبه هل تعرف أين كانت ؟

— كانت تنتظره في المارج عند منتصف الليل . - وكان يبتعد

عليها أنها مشغولة انها لا تعرف شيئا - لماذا ؟ - ألا ترى انها
جارات تؤمل رؤيته ؟

بـ يلي .

— وهل تعتقد انني قتلته بسبب الفيرة ، او انها قتلته لأي

سبب ؟ انه كان ميتا وجها .

قال :

بـ نعم .

ومرت فترة من الصمت ثم مآلته :

بـ أين وجدتموه ؟

فقال :

بـ أسفل « الكوبري » - غريقا في الماء .

وكان مطعم الطاحونة مجاورا « للكوبرى » ، وعلى « الكوبري »

بوليس مسلح وكان للمطعم غطاء من الحديد المشبك لكي يمنع دخول

القتابل اليهودية ولم يكن عبور « الكوبري » مأمونا في الليل . اذا

الشماطي الآخر يكون تحت سيطرة الفيتناميين بعد حلول الظلام .

ولا بد اني تناولت عشاءي على بعد خمسين ياردة من جيتو .

وقلت :

ـ ان المشكلة هي انه اقحم نفسه في المتاعب ؟
وقال فيجو :

ـ بصراحة ، اننى لست آسفا على موته ، فلقد كان يتسبب في
أضرار كثيرة .
فقلت :

ـ فليحفظنا الله دائما من السلج ؟
قال :

ـ نعم ؟
ـ الا تستطيع ان ترى طريقته وعلى كل فقد كان امريكيا
عجيبا .

ـ هل يمكن ان تتعرف عليه ؟ اتى لاسف . ولكن
« الرومين » ـ وان كان رومينا غير محب .
ولم اهتم بسؤاله : لماذا لم يطلب احد موظفى المفوضية
الامريكية لائى تعرف السبب فان للفرنسيين وسائل عتيقة بالنسبة
للمقاييس عندنا ، فهم يؤمنون بالشعور بالذنب ـ وان المجرم يجب
ان يواجه بجريمته لقد يؤدى ذلك الى انهياره و « اكتشاف »
امره .
وقلت لنفسى مرة اخرى : اننى برى ؟

ومضى فيجو الى « الدير » حيث توجد المشرحة وصوت
الوتور المتبريد يعمل ـ وسحبوه من مكانه كما يسحب الانسان
« صينية » من مكبات الثلج وضرت اليه ـ وكانت الجروح متجمدة
ـ وقلت لفيجو :

ـ الا ترى ان الحروح لم تفتح فى حضوري ؟ لقد بالغتم فى
« تخليجه » ـ ان البشر لم يكن لديهم تلاجات فى العصور الوسطى ،
ـ هل تسرفت عليه ؟
ـ آه . نعم .

وكان اصالح له لو بقى فى وطنه ، فلقد رآته فى صورة
عائلية يمتطى جوادا فى مزرعة كما رآته فى صورة يستحم فى

أحد الشواطئ في الولايات المتحدة : ورايت صورة نائلة له في
أحد الأدوار العليا في مبنى نيويورك . أنه كان يسكن في إحدى
ناطحات السحاب ويمارس المصارعة السريعة ويقوم بتناول الأيسن
الكريم وشرب كؤوس المارتيني - وتناول اللبن عند الغداء
« وسندوتشات » الجاج »

وقال فيجر :

— أنه لم يمت بسبب هذا « وهو يشر إلى الجرح في صدره »
— انكم تعملون بسرعة »

— يجب علينا ذلك في مثل هذا الجو »

وأعادوا الطاولة للمد عليها إلى مكانها وأفلتوا الباب . وقال
فيجر :

— ألا تستطيع أن تساعدنا ؟ »

— نعم لا أستطيع .

وعدت مع فونج ماشيا إلى مسكني ، وكانت فونج لا تزال
تحد مدركة لما حدث ولم يكن لدى طريقة لإخبارها بما حدث يرفق
وعلى مول .

وكنت مراسلا صحفيا وأخذت أفكر بقتل الصحفي ؟

« موقف امريكي يقتل في مابجون » وأخذت أفكر في
الصحيفة التي أعجل بها وقتل لفونج :

— هل تـ - - بانتظاري عند مكتب التلفزيون ؟ »

وتركتها وأرسلت التلفزيون وأعدت إليها وكنت أعلم أن
الصحفيين الفرنسيين لابد أن يكونوا قد علموا بالحدث ولو أن
فيجر كان مصمعا لأوقف الرقيب يرقبي حتى يرسل الفرنسيون
برمساتهم - ويرغم أن يبل لم يكن مهما - فإنه قيل موته كان
مسرلا على الأقل - عن موت خمسين قردا وكان من الخطأ
« أنه طولة تبقي نشاطه لأن ذلك سوف يؤدي إلى سوء
المرتب مع الأنجلو أمريكية . سوف يتألم الوزير الفرنسي الأمريكي

الذى كان يقدر بيل لأنه حاصل على درجة عالية في أحد الموضوعات التي يمكن أن يحصل الأمريكيين على درجات فيها وربما كانت في العلاقات العامة أو في اللوامس الخاصة بالشرق الأقصى . فلقد قرا كثيرا من الكتب . ومائلنى فونج :

- أين بيل ؟ ماذا يريد منا البوليس ؟

نقلت لها :

- تعالى الى المنزل .

قالت :

- هل سيأتى بيل ؟

نقلت :

- ان احتمال حضوره الينا مثل احتمال ذهابه الى مكان

آخر .

وكانت النسوة العجائز مازلن يثرثرن على الشاطئ في الجوار الذي اعتدل بعد حرارة النهار . وعندما فتحت بابى عرفت أن قرفتى قد قضت . فان كل شيء كان مرتباً احسن مما توكلته .

وقالت فونج :

- هل أعد لك الشرايب ؟

- نعم .

وحلعت رباط العنق والحذاء ، فلب الصراخ قد انتهى ، وجلست فونج العرفضاء عند طرف السرير وأشعلت الخشبياح ولون يجلدها في لون العنبر . وقلت لها بالفرنسية :

- لقد مات يا فونج .

فأمسكت بالنكاس في يدها ونظرت الى وهي تحاول أن تركزا قهبحا كطفل وقد قطبت بين حاجبيها قائلة :

- هل مات ؟

نقلت :

- ان بيل قد مات . لقد قتل .

انقضت الأبرة من يدها وجلست على مقعدتها ونظرت إلى ..
ولم يكن هناك شعور أو دموع بل تفكير قصص ..
وقلت :

.. يحسن بك ان تبقى الليل هنا ..

فأطروقت برأسها ، وفي هذه الليلة استيقظت من نومى العميق
وكانت نائمة وكان من الصعب ان اسمع صوت نفسها ، وهكذا
بعد شعور طوال لم اعد وحلى - ثم فكرت وقد اغتراني القصيع
من فيجو ونظارته الخضراء في مكتب البوليس ومعرات المفوضية
الأمريكية ومألت نفسي : « هل أنا الوحيد الذى يهتم حقيقة بأمن
جبل ؟ » ..

الفصل الثاني

فى اليوم الاول الذى رايت فيه بيل يعبر الميدان متوجها الى الكونتنتال كان هناك عديد من زملاى الصحفيين الأمريكيين - وكثروا خليطا من الشباب متوسلى العمر فيهم من تقب على صحات الطفولة وفيهم المهرجون وفيهم ضخام الأجسام وصفارها - وكانوا جميعا يطلقون النكات اللاذعة على الفرنسيين الذين كانوا يخوضون الحرب »

تبعد كل اشتباك بين قوات الطرفين وبعد ازالة المصابين فى المعركة كان الفرنسيون ينعونهم الى هانوى التى تبعد عن سايجون مسافة أربع ساعات بالطائرة لكن يخاطبهم القائد الصام الفرنسيون مقلعا لهم النتائج والأخبار - ويقيمون ليلة فى معسكر أصلا للصحفيين - ثم تأخذهم السلطات العسكرية فى طائرات تطير بهم على ارتفاع ثلاثة آلاف قدم فوق ميدان المعركة وهذا الارتفاع من أقصى مدى المدافع الرشاشة . ثم تعود بهم الطائرات الى سايجون بحيث يقيمون فى فندق الكونتنتال .

وكان بيل هادئا ويبدو متواضعا - وفى أول يوم قابلته كنت أخطر أن أميل ناحيته لكن استطيع أن أسمع ما يقول وكان فى منتهى الجد - فكم من المرات رأيت ينطوى على نفسه كلما أرامى أينا صوت الصحفيين الأمريكيين الزمج وهم يتحاوون فى الشرفة وهى الشرفة التى كان يقن أنها بعيدة عن مدى القنابل اليدوية ولكنى لم أسمعهم ينتقد أحدا .

وسألتى مرة

« هل قرأت شيئا للكاتب « يورج هاردنج » ؟ »

٢٠ لا اظن انى قرات له شيئا . فى اى موضوع يكتب ٢٠
فحقد بالنظر الى محل اللابان عبر الشارع وقال وكأنه بطم
- ان هذا المحل يصلح كمحل جميل لبيع ماء الصودا .

وتعجبت .. اى نوع عميق من الحنين للوطن يكمن وراء
اختياره القريب للملاحظة مطر غير مالوف ليذكره بالوطن ؟ ولكن
لم لاحظ انا فى اثناء مسيرى فى الشارع لأول مرة فى صاحبون
ذلك المحل الذى يبيع الروائح العطرية ويذكرنى بوطس ومزيت
نفسى وقتشد بأن أوروبا لا تعمل منى سوى ثلاثين ساعة بالبطارية ٢٠
ونظر بيل بعيدا عن محل اللبن وقال :

- ان يورك كتب كتابا اسمه « تقدم الصين الشيوعية » وأنه
لكتاب عميق جدا .

- انا لم اقرأه .. هل تعرف يورك ؟

فهر رأسه بتؤدة وقال :

- نعم ..

وظل صامتا ولكنه قطع صمته بعد قليل لى يقر النائم الذى
هنا :

- اننى لا أعرفه جيدا . واعتقد انى قالته مرتين .
وقد ارتجعت اليه لذلك حيث أنه لم يتخذ من معرفته للكاتب
مادة يحضر بها .

وعلمت فيما بعد انه دكن احتراما كبيرا للكاتب الذى تناول
الموضوعات الحديثة وفى رأيه أن الموضوعات الحديثة لا تشمل كتب
التخصص أو الشعر أو كتلة المسرحيات ما لم تكن هذه تتناول
أفكارا معاصرة تشمل الأذهان فى العالم . وقلت له :

- انت تعلم .. أنك لو عشت فى مكان مدة طويلة فأنك لا تهتم
بقراءة ما كتب عنه .
قال :

- ابنى بالطبع احب أن أعرف ماذا يقول الرجل الذى يعيش
فى دوامة الأحداث .

قلت له ؟

— ثم تعود فتقارن ما يقول بكتابات يورك ؟
وقال وكأنما لاحظ تهكمى :

— نعم ؟

ولكنه أضاف بطريقته الملهية :

— أتى اعتبرها مئة كسرة منك لو كان لديك الوقت لكي
تعطينى صورة من النقط الهامة ، قالت تعلم أن يورك كان مقيما
هنا منذ سنتين .

واحبيت فيه اخلاصه ليورك مهما كان يورك هذا . فلقد كان
يل صورة مفيدة للمحيطين بي من رجال الصحافة وافتقارهم
الذي يشم من البعد عن النضوج .

ثم بدأت أشرح له الموقف في الشمال — في تونكين — حيث
كان الفرنسيون في تلك الأيام يتشبثون بذلك النهر الأحمر التي
تشمل هاتوي والبناء الشمالي الوحيد في الهند الصينية ، حيث
ينمو معظم الأرز وعندما يتضج تبتدى « عادة » للمركة السنوية ١٥٠
وقلت :

— إذا هو الشمال ، وقد يستطيع الفرنسيون البقاء فيه ؟
وذلك ما لم تتقدم الصين لمساعدة القينناميين — وأنهاء حرب
الغابات والجبال والمستنقعات ومزارع الأرز حيث تخوض الماء
إلى كثفك ويختفى الإعداء « بساطة » ويدقنون أسلحتهم ويرعدون
ملامر الفلاحين — وتستطيع أن تسميها حربا نظامية .
فقال :

— وكيف الحال هنا في الجنوب ؟

قلت :

— أن الفرنسيون يسيطرون على الطرق حتى الساعة السابعة
تساع ، ثم يسيطرون على أبراج المراقبة بعد ذلك ، كذلك بالسة
للمدن التي حد ما وليس معنى ذلك أنك في أمان إلا طلعادا ودها
الشبيك الحديدية أمام المطام .

ولقد شرحت هذا مرات لكقامين الجلد للمدينة من أمم
البرلمان والوزير البريطاني الجديد ثم قلت :

— والأنا — هناك الجنرال في الذي كان رئيسا لأركان حرب
جيش الكاوديست ولكنه التيجا إلى القليات ليحارب « الفرنسيين
والشيعيين »
فقال بيل :

— أن يورك كتب يقول :

« أن ما يحتاج إليه الشرق الأقصى هو قوة ثالثة » . وكان من
التوقع أن أسمع منه هذه الآراء المتطرفة ، والميل إلى سحر ما يدرك
مثل الظهور الخامس والقوة الثالثة واليوم السابع ، وكان في
استطاعتي أن أوفر على نفسي وعلينا جميعا الكثير من المتاعب وعلى
الأخص بالنسبة لبيل لو كنت قد كشفت عن اتجاهات عقله غير
الناصح — ولكني تركته بهذه الحقائق العارية — وذهبت العنق
في شارع الكاثينات « كعادتي » فيجب أن يتعلم هو نفسه حقيقة
الأوضاع في البلاد التي تسيطر على القيم فيها مثلما تسيطر على
عقله راحة شيء ما ، لقول الأرز الذهبية تحت أشعة الشمس
العارية وأكواب الشاي على منضدة كاهن عجوز وسريه تعلوه
ثمينة يومية ، وأوهيته وآنيته المحطمة وخبرة حياة طويلة ومنظر
القبعات التي ترتديها الفتيات اللواتي يصلحن الطريق الذي انفجر
فيه أحد الأقسام ، وأرباء الجنوب الذهبية والخضراء الزاهية وفي
الشمال حيث تجد الألوان البنية القائمة والملابس السوداء والجبال
التي تقوم كدائرة حول الشمال - كل ذلك مناظر تترك في النفس
أثرها .

وعندما وصلت إلى مايجون كنت أحسب الأيام التي تمر علي
فيها ، مثل مثل الطالب عندما يعبر أيام الدراسة انتظارا للأجازة
وكنت أعتقد أنني مرتبط بلندن المكان الذي ولدت وعشت فيه .
أما الآن فما عدت أهتم بل أصبحت مرتبطا ارتباطا أشد بأبنائه هذه
البلاد وأحوال أهلها ، فويج ومسكني ودوت حول منزل المندوبين
المسائي الفرنسي حيث يقف رجال الفرقة الأجنبية يحرسونها في

خلالهم الجياع وشالاهم الحمراء وصبرت الشارع امام الكلدالية
وعلمت متخذا طريقى بجوار دار البوليس الفيتنسية وكان هلسا
يعود من الوطن الثاني - وكانت الصحف المطبوعة حديثا قد عرست
على المناضد على طول الشاطئ والبحارة يتناولون البيرة على
الرصيف وهم بذلك يكونون هدفا سهلا للقنابل اليدوية وتكررت
اتى فونج التى تكون مشغولة فى مثل هذه الساعة بالمساومة على
ثمن السمك فى الشارع الثالث على اليسار قبل ذهابها الى محل
الالبان ونسيت ييل بسهولة . ولم اذكر حتى اسمه لفونج ونحن
يجلسان للغداء فى غرفتى المظلة على شارع كاتينات وهى ترقى
تخبر ملابسها احتفالا بذكرى مرور سنتين على تعرفنا .

وفى صبيحة موقه لم يذكره احدنا عندما استيقظنا من النوم ؟
ولقد استيقظت فونج قبلى واعدت الشاي ، والماء لا تعتربه الفرة
من الموتى وسهل على بذلك ان اعاد الحياة معها كما كنا قبل
وسالت فونج بصوت حاولت ان اجعله طيعيا ونحن ننظر ؟

- هل ستيقظ عنا الليلة ؟ -

- اتى سوف اكون فى حاجة الى احضار حقيبة ملابسى .

- لقد يكون البوليس فى انتظارك هناك عند ييل . وحسن

لن اكن معك .

وكان هلسا اول مرة يرد فيها ذكر ييل .

وكان ييل يسكن شقة فى « فيلا » حديثة بشارع «ديوراتين»
قوم على احد الشوارع الرئيسية التى يشغلها الفرنسيون ويطلقون
عليها اسماء قوادهم . وقد غيروا اسم شارع ديجول باسم شارع
ليكليف بعد الانقلاب الثالث فى فرنسا وقد يفردون هلسا الشارع
مرة اخرى باسم دى لاثولاسيتى . ولاحظت انه يوجد رجل بوليس
يواجه « الرصيف » كل مشرع يارده على طول الطريق المؤدى الى
بيت اللندوب السلى فلا بد ان هناك شخصا ذا اهمية سوف يصل
من اوربا بالطائرة ولما لم منزل ييل كلن هناك العديد من رجال البوليس
واكبي الموميكلات وقد اوقفنى احد رجال البوليس من اهل
لثيتنام وقصصى بقاتضى الصحفية ولم يسمح لفونج بالدخول

انفلخت وذهبت الى ضابطك البوليس « ولى حجرة بيل وجدت
يقبحو يغسل يديه بصابونة ويمسح يديه فى « فوطته » وكانت
يحلته قد لوثتها بقعة من الزيت اعتقد انه من زيت بيل ، وسالته :
« هل من اخبار ؟ »

« وجدنا سيارته فى الجراج - وكانت خالية من الوقود -
فلا بد انه خرج واستاجر حربة ، او فى سيارة شخص آخر ، وقد
يكون الوقود قد افرغ من السيارة .
« قد يكون ذهب سائرا على قدميه ، « انت تعرف هؤلاء
الامريكيين »

قتال وهو يشكر :

« ان سيارتك قد احترقت بعد البس كذلك ؟ وليس لديك
سيارة جديدة »

« نعم »

« انها ملاحظة غير هامة .

« ايها ،

« هل لديك أية فكرة »

فقلت له :

« كثير من الأفكار »

« اذكر لى .

« حسنا وقد يكون قد قتل « بواسطة » رجال الكاودبست
لانهم يعرف الجنرال لى »

« هل يعرفه ؟ »

« انهم يحاولون ذلك - وقد تكون الجنرال لى قد قتله لانهم

يعرف الكاوديسنت وقد يكون قد قتله الهاوهارو لأنه غارل حشبات
الجنرال - أو قد يكون قد قتله شخص يريد الاستيلاء على نفوذه »
فقال فيجو :

- وقد يكون لسبب « بسيط » وهو الفرة .
فقلت متابعاً :

- وقد يكون قد قتله رجال اليوليس الفرنسي لأنهم لا يحبون
الاتصالات التي يقوم بها « حل بحث حقيقة عن الرجال الذين
قتلوا » .

فقال :

- لا .. انني فحسب ادون ملاكرة وهذا كل ما في الامر ،
لأن المسألة من أعمال الحب ، وهناك آلاف يقتلون كل سنة »
قلت :

- تستطيع أن تستبعدني ، فانا لم اشترك في قتله ، لم اشترك
قط ، فانا طبيبتي سلبى ، وحيث ان الأحوال الإنسانية على ما هي
عليه فندعهم يتصارعون أو يحبون أو يقتلون فانا لا أندمج في هذا
المشترك .

وزملائي من الصحفيين يسمون انفسهم مراسلين ولكني افضل
لقب محرر صحفي فانا اكتب ما اراه ولا اتخذ أية حركة »

وقال فيجو :

- ماذا تفعل هنا ؟ .

- لقد جئت من اجل حاجات فونج ، ورجالك لم يسمحوا لي
بالدخول .

- دعنا نذهب لنبحث عنها .

- ان هذا جميل منك يا فيجو »

وكانت شقة بيل محتوية على غرفتين ومطبخ وحمام - وتوجهت
الى حجرة النوم وكست اصرف ابن لفسج فونج حقيبتهما تحت
السرو - وسحبناهما مما وكانت تحتوى على « البومات »
صورها - واخذت ملابسها القليلة من « الدولاب » : روبين

ويتفكرون - والمرد يشعر بأن هذه الملابس لا تنتمي الى هذا المكان
وانها لم تمكث فيه سوى ساعات ، وفي احد الانراج وجدت
مراويلها الثلاثة ومجموعتها من الايشاريات وكانت الملابس كلها
القليلة لا تزيد على ما يحمله المرء في عطلة الاسبوع - وفي غرفة
الجلوس كانت هناك صورة لها مع بيل - والصورة مأخوذة في
بحديقة النياتل بجوار تمثال حجرى كبير لثنى - وكانت تمسك
الى الصورة بحبل متصل بكلب بيل وهو كلب اسود ذو لسان
أفام - ووضعت الصورة في الحقيبة وسالت :

- ماذا حدث للكلب ؟

- انه ليس هنا ، ربما أخذه معه ،

- قد يعود الكلب وتستطيع تحليل ما على أقدامه من التربة .
فقال :

- اننى لست بوليسا سريرا خلاقا .

وتوجهت ناحية مكتبة بيل وتصفحت الكتب التى بها . ووجدته
الكتب التالية : « تقدم الصحن الشيوعية » ، « تحدى الديمقراطية » ،
« مسئولية الغرب » . وهذه الكتب كما اعتقد هي مؤلفات « يورك
هاردينج » والى جانب ذلك عدد من نشرات الكومحرس وكتائب
لتعلم اللغة الفيتنامية وتاريخ الحرب فى الفلبين ومؤلفات شكبير
ومساءلت : « أى شيء كان يقرأ بيل لراحة أعصابه الى جانب هذه
المؤلفات الجلدة ؟ »

ووجدت كتب فرائده الخفيفة على رف آخر : كتاب عن حياة
توماس ولف ومجموعة من القصائد اسمها « انتصار الحياة »
ومختارات من الشعر الأمريكى . وكان هناك كذلك كتاب من
السطرنج وكان هذا كله لا يعد شيئا يحتاج الانسان اليه بعد عمل
الهار . ولكن كانت هناك فونج . وخلف كتاب الشعر وجدت كتابا
هنوانه سيكيولوجية الزواج .

وكان بيل حين يؤمنون بضرورة الاندماج والاشترك فى
الحياة . أما مكتبه فكان عاريا . وقلت لفيجو :

- لقد نظفت الكتب تماما .
 - آه . . كان لابد من التحفظ على أوراقه من أجل الوثائق
 الأمريكية وأنت تعلم كيف تنتشر الشائعات بسرعة ، وربما تكن
 أحدهم في الاستيلاء عليها وقد أختتمها .
 قال ذلك بكل وقار دون أن يتسم .
 - هل وجدت شيئا خطيرا ؟
 - أنك لا تستطيع أن تنسب أمورا خطيرة لطيف .
 - على تمنع إذا أخذت أحد هذه الكتب من أجل الذكرى ؟
 فقال فيجو :
 - سوف أنظر الى الناحية الأخرى كأي لم لوك .
 واختارت كتاب « بورك هاردنج » سنوية الغرب ، ووضعتها
 في الحقيبة مع ملابس فونج . وقال فيجو :
 - ألا تستطيع أن تذكر شيئا كصديق ؟ ، ألم يقل لك شيئا
 آخر مرة رائته ؟ .
 - نعم . .
 - متى كان ذلك ؟
 - صباح أمس بعد الانفجار الكبير .
 وسكت حتى تنضح معنى إجابتي لعقلى أنا لا أعقله هو . . ثم
 صالتني :
 - هل كنت بالخارج مساء أمس عندما من عليك ؟
 - من على أمس ؟ ربما كنت بالخارج . وأنا لا أعتقد ذلك .
 - ربما تحتاج الى تأشيرة خروج . وأنت تعلم أننا نستطيع
 أن تؤخر إطلاقك أيامها .
 فقلت له :
 - هل تعتقد حقيقة أنني أريد العودة الى وطني ؟
 ونظر فيجو من خلال النافذة الى الليل الذي اخذ يلوح على
 للنهار وقال بأسى :

« معظم الناس يعودون لوطنهم »
قلت :

« انى احب هنا ، وفى الوطن توجد مشاكل »

وقال فيجو :

« ما هو ذا مرد .. الملحق الاقتصادى الأمريكى ،

« يحسن أن اذهب - فربما فكر فى اقملى أنا كذلك »
القال فيجو بتعب :

« اتمنى لك حظا سعيدا . فان الملحق مرجعات كثيرة يريد
أن يقولها لى »

وكان الملحق الاقتصادى واقفا بجوار سيلوته الباكتر متفما
بخرجت ، وهو يحاول ايضاح شيء للسائق ، وهو رجل مبتلى
الى منتصف العمر ووجهه يلوح وكأنما لا يحتاج صاحبه الى حلاقته
ونادانى قائلا :

« فولر .. هل نستطيع أن نشرح لهذا السائق المليون ؟ »

وشرحت للسائق ما أراد ثم قال :

« ان هذا هو ما أردت شرحه له ولكنه يرمى دائما انه لا يعرف
الفرنسية .

« ربما كانت المسألة مسألة لكمة فى نطق اللغة .

« لقد قضيت ثلاث سنوات فى باريس . وان لهجتى كافية

« جيدا بالنسبة لهؤلاء الذين من اهل فيننام »

قلت له :

« أهذا صوت الديمقراطية »

« ماذا تقصد ؟ »

« انى امتقد أن هذا كتابا من تأليف « بورك هاردنج » .

« انى لا أتفهمك »

ونظر بشك الى الحقيبة التى أحملها وقال :

« ماذا تحمل فى هذه الحقيبة ؟ »

قلت له :

— روجين من المراويل الحربية البقية ؟ وروين ؟
الأرواب الحربية ، وبعض الملابس الداخلية لأحدى القتيلات —
ثلاثة أزواج منها كلها إنتاج محلي — وليس فيها شيء من المعونة
الأمريكية »

— هل كنت بأعلى في الشقة ؟

— نعم .

— هل سمعت الأخير ؟

— نعم .

— انه شيء لطيف .. فطيع واعتقد أن الوزير المفوض في قاعة
« الإنشغال » واعتقد أنه الآن مع المندوب السامي الفرنسي وسوف
يطلب مقابلة رئيس الجمهورية .

ووضع يده على ، وسألني وقادني بعيدا عن السيلطة وقال :

— انك تعرف بيل جيدا فلما اصرف والسده « البرولسور

مكلولد »

تقلت :

— من بيل ؟

قال :

— لا شك أنك سمعت عنه .

— لا .

— انه حجة عالمي في الأبحاث المائية . ألم تر صورته على

مجلات مجلة « تايم » في الشهر الماضي ؟

— على .. اظن أتى التذكر ذلك . صورة بيل متهاو في مؤخرة

الصورة ورجل يلبس منتظرا مذهب الاطار في المقدمة .

— انه هو .. وكان على أن أرسل له برقية في الوطن . وذلك

لشيء موهج لآتي كنت أحب هذا الشاب كاتبى .

— ان هذا يملكك شدة الصلة بأبيه .

فتنظر لي بعينه المائلتين بالدموع وقال :

— ما الذى يفتلك ؟ ان هذه ليست بطريقة الكلام عندما يموت
شاب خير .

قلت :

— اتى لاسف . ان الموت يؤثر فى الناس بصور مختلفة . ماذا
لكتبت فى يوفيتك ؟

فاجاب بتؤدة ووقار :

— اتى لحزون ان اتى وفاة ابنك وفاة جنسك مخلص
وقد وقع الوزير المفوض .
قلت :

— موت جندي . اليس ذلك يدعو الى الحيرة ؟

— اتى اقصد بالنسبة لاهله فى الوطن .

— ان البعثة الاقتصادية ليست فى الجيش . هل تحصلون
على وسام القلب القرمزى فيها ؟

فقال بصوت منخفض :

— لقد كان له مومات خاصة .

قلت :

— آه . لقد كنا جميعا نعتقد ذلك .

— انه لم يبع بشئ . هل تكلم عن شئ ؟

— آه — كلا — لقد كان امريكا هادئا جدا . وهى عبارة فيجوا .

— هل لديك فكرة . لماذا قتلوه ؟ ومن الذى قتله ؟

وفجأة أحسست بالغضب . فلقد سمعتهم جميعا . بمخزونهم
الحاصر من الكوكاكولا ومستشعراتهم المتنقلة وسياراتهم وبنادقهم
غير الحديثة جدا . قلت : نعم . لقد قتلوه لانه كان ساذجا جدا لانه
كان شابا . وجاهلا . ومخيفا . ولانه جعل نفسه يدخل فى دوامة
ولم يكن لديه أية فكرة عما يدور ويحدث وقد أعطيتوه نقودا
وكتب يورك هاردينج وقتلتم له : هيا — الى الامام اكسب لناسا
الشرق . وعندما كان يرى قتلا كان لا يستطيع حتى رؤية
الجروح . لقد كان مزعجا .

لقال بصوت متعجب :

— أفي كنت اعتقد أنك صديقه .

— لقد كنت صديقه • وكنت أفضل أن أراه حالساً في وطنة
يقرا جرائد الأحد ويشتبع أخبار البسبول ، وكنت أحب أن أراه
صالحاً مع فتاة أمريكية من أوساط الناس تنتمي إلى نادي الغنم .

فتشجع وقال :

— بالطبع فقد نسيته هذه المهمة السيئة الحظ — انشأوا فتلق
يا فولر ، لقد سلك سلوكاً سيئاً جيداً — وأنا لا أكنم هنسك اني
تكلمت معه طويلاً عن مهمته فأنت ترى انني كنت أعرفه أيام واده •

فقلت له :

— أن فيجو ينتظر •

وتركته وسرت ولاحظ فونج ١٧،١ مرة وعندما نظرت إليه
وجدته يرقيني بألم مزوج بالامتعاض ١٨ : أع أكبر لا يستطيع أن
يتفهم الموقف •

الفصل الثالث

كان بيل قد دعا نفسه الى ما أسماه كاسا . ولكنى أمرت جينا
أنه لا يشرب حقيقته وحظر لى أنه يحاول ان يجعلنى انزلق وان
الحدث كان مضمرة وعلمة مغنة بالنسبة لغرضه الضمى حيث
ان الثماعات فى سايحون تشير الى أنه يعمل فى مهمة سرية وربما
كان يعد العدة لتزويد « قوة ثلاثة » بالسلاح الأمريكى - وربما
كانت هذه القوة هى فرقة الأسف الموسيقية وهى كل ما تبقى له
من جنوده الذين لا يدفع لهم أجورهم وكان النفراف الذى وصل
الى فى هانوى قد احتفظت به فى حبيى ولم أجد مصلحة فى البلاغ
لقوم لأن ذلك سيؤدى الى إفساد الأشهر القليلة الباقية ، إنكسار
والنارعات وتوبت الا أذهب للحصول على تأشيرة الخروج الا فى
آخر لحظة ممكنة خشية أن يكون لها قريب فى إدارة الهجرة .
وقلت ليا : « ان بيل سيأتى فى السادسة » فقالت :

— ساذب لمباله اختى .

— اننى اعتقد أنه يرغب فى رؤيتك .

— انه لا يحبنى ولا يحب عائلتى - فعندما كنت مسالمة لم
يحضر مرة واحدة لرؤية اختى رغم أنها كانت قد دعتة لزيارتها
وقد ألتها ذلك جدا .

— انك لست فى حاجة الى الخروج .

— لو كان يريد أن يرانى لكان عليه أن «يعرنا الى قنفذ»
مأجستك . انه يريد أن يتكلم معك على انفراد بخصوص العمل .

— وما هو عمله ؟

— الناس يقولون : انه يتورد اشياء كثيرة .

— أى نوع من الأشياء ؟

— أدوية ومستحضرات طبية —

— ان هذه الأشياء لوحدة مكافحة التراخيما في الشمال —
والجبارك لا تطلع على محتويات الطرود . لانها طرود دبلوماسية
ولكن حدث مرة غلطة اذ فتحها رجل من الجبارك وقد نزل الرجل
لذلك . وهذا السكرتير الاول بالمفوضية الامريكينة يوقع كل
الواردات .

— ولماذا كان في الطرد ؟

— بلاستيك .

وقلت بكسل ؟

— ولماذا يريدون البلاستيك ؟

وعندما رحلت فوج كتبت الى انجلترا — وكان احد مراسلي
رويتز مسافرا الى هونج كونج بعد ايام ويستطيع ان يرسل خطابي
من هناك — وكنت اعلم ان اعراضى لا امل في نجاحه ولكنى لم اكن
أريد أن ألوم نفسي لعدم اتحاذى كل وسيلة ممكنة لانقاذ النقل .
وكتبت الى رئيس التحرير ان هذا الوقت غير مناسب لتعيين
مراسلهم — فالجنرال لا تردى ثامنى كان على شفا الموت في باريس
والفرنسيون على وشك الانسحاب من (هوى بنه) والشمال لم يكن
في يوم من الايام في خطر مماثل — وأنا لست صالحا لى اكون
محررا للشئون الخارجية فما أنا الا مراقب للمحادث وليس لي رأى
هريج في الامور — وفي الصفحة الأخيرة طلبت منه على أساس
المصلحة الشخصية الا يصر على تقلى برغم علمى أن العاطفة
الانسانية ان يكون لها اثر عند اولئك المديرين للجريدة الجالسسين
امام مكاتبتهم في لندن وانهم يضعون مصلحة الجريدة — والوقفه
يطلب ذلك — امام كل اعتبار فردى . وكتبت له أقول لا لأسباب
شخصية اعتبر نفسى غير سعيد بالرة لتقلى من فينتنام — وأنا
لا اعتقد انى سرتب أقوم بعملى على خير ما يرام في انجلترا حيث
توجد المشاكل المالية والمشاكل العائلية ولو كان في استطاعتى من
الناحية المالية ان استقبل لغضلت ذلك على العودة الى المملكة
المتحدة . وأنا اذكر ذلك لآظهار قوة معارضى للنقل . ولا اعتقد

انكم « جدموني من ادلا غير ناجح وهذه هي اول خدمة اطلبها منكم
ثم طرد ابي سعدي عن معرفه « فأت ديم » حتى استطيع ان ارسله
من هونج كونج ولا يستطيع الفرضيون ان يحتجوا الآن -- فاقلا
ومع السند -- ومن الممكن تصوير الهزيمة على انها اقتصر ثم مرقت
الصفحة الاحيرة من كتابتي الى رئيس التحرير لعلني بعد جدواها
« فالاسباب الشخصية » سوف تكون موضع سخرية خبيثة
فالعرف ان كل مواسل اجنبى له عشيقته من اهل البلاد وسوف
يتحد رئيس التحرير من ذلك مادة للسخرية مع سكرتير التحرير
الذى سيحمل العصا معه الى منزله حيث يقيم فى « قبللا » فى
« فالاسباب الشخصية » سوف تكون موضع سخرية خبيثة --
منذ تعرفه عليها فى « جلاسجو » وكنت استطيع ان اتخذ -- بل
صوره المنزل الذى لا تعرف الرحمة سبيلا الى قلب صديقه «
« فالاسباب الشخصية » يمكن ان تكون محلا لسخرية أنا فى
عنها .

وقرر الباقى ففتحت ووجدت بيل وكلبه الاسود يتقدمه ويظهر
بيل من قوف كثر ووجه القرفة خالية وقلت :
« أنا عديدي وفونج مع اختها »

وتضج ووجهه ولاحظ انه قد اوتلى قيصا « « « «
من قصة هاواى رغم انه كان قيص متحفيا « « « « فى
لونه وتصميمه -- ونهضت « هل « « « « ان له شيطا مصيادا
لامريكا « لا -- بالطير « « « « وقلت له :

« هل لك فى كاس »

« شكرا « « قدح من البيرة »

« آسف -- ليس لدينا نلاجة ، لقد ارسلنا فى ذلك الحال --
ما رايك فى كاس من الوسكى ؟ »

« كاس صغيرة -- ان لم يكن مانع . فلنا لست متعودا المشروبات
القوية .

« بالنهج .

« مع كثير من الصودا ان لم تكرر تشكو من قلتها .
وقلت :



« أنا لم أرك منذ مقابلتنا في » قات دم » .

« ألم يهلك خطائي - يا توماس ! »

وكان عندما يستخدم اسمي المسيح فهذا معناه اعلاز منه
أنه ليس في روح طيبة وأنه ليس لديه ما يخفيه . وأنه هنا لكي
يستحوذ على فونج . ولاحظ أن حلقة شعره قد تغيرت . وقلت له

« لقد تسلمت خطايك واعتمد انه من المرسوم ان تطرحك

أرضا »

فقال :

« بالطبع . فليدبك كل الحق يا توماس . ولكني كنت ملاكها

في الكلية وأنا أكثر منك شبها بكثير .

« انها لن تكون حركة ناجحة مني اليس كذلك !

« انت تعلم يا توماس ، وأنا اعتقد أنك تشعر بالشعور نفسه .

التي لا أحب منافسة مسألة فونج بغير حضورها . واعتقد انه
يجب أن تكون موجودة »

« حسنا - اذن ما الذي سوف تناقشه ؟ البلاستيك ؟

ولم اكن اقصد مفاجاته . وقال :

« هل تعرف ذلك ؟

« لقد قالت لي فونج ،

« يمكنك أن تتأكد أن هذا معروف في المدينة كلها . وما أهمية

ذلك ؟ أهل تنتوي النحول في تجارة لعب الأطفال ؟ نحن لا يجب

أن نعرف تفاصيل المعونة التي ترسلها ، وأنت تصرف احوال

الكونجرس ، هذا بالإضافة الى الزيارات التي يقوم بها أعضاء

مجلس الشيوخ ، ولدينا كثير من المتابعين بخصوص فرقة مكافحة

الترابزوما لأنهم كانوا يستخدمون نوعا من الدواء بدلا من نوع

آخر .

فقلت له :

— ومع ذلك لمأزلت لا أفهم مسألة البلاستيك .

وجلس كلبه على الأرض ناظرا إلى محتويات الفرفة وهو يلهث ولسانه يبدو كأنه « كمكة مشوية » وقال بيل :

— لوه . أنت تعلم أننا نريد أن نساعد الصناعات المحلية على الوقوف على قدميها ، وعلينا أن تكون حلزون من ناحية الفرنسيين فهم يريدون أن نشترى كل شيء من فرنسا .

— أنا لا الومهم . فالانفاق على الحرب يحتاج إلى أموال .
فقال :

— هل تحب الكلاب ؟

فقلت :

— لا .

— كنت أعتقد أن البريطانيين من المحبين الكبار للكلاب .

— نحن كذلك نعتقد أن الأمريكيان محبوبون للدولار — ولكن هناك بعض الشواذ عن القاعدة .

— أتى لا أعرف كيف يمكن أن أكون بدون الكلب « ديوك »
قأبت تعرف أتى أضر أحيانا بوحدة قافلة .

— أنك لديك الكثير من الرفقاء في الفرع الذي تعمل فيه .

— أن أول كلب ملكته كان يسمى « بونس » وسميته باسم
« الأمير الأسود » . أنت تعرفه . أنه ذلك الأمير .»

فقاطعت قائلا :

— الذي نزل كل النساء والأطفال إلى « ليموج »

— أنا لا أذكر ذلك .

— إن كتبتي للتاريخ قد ذكرتها .

ورأيت كثيرا من المرات هذه النظرة المتاملة المملوءة بخيبة
الامل تلمس عينيها عندما لا تتفق الحقيقة أو تتشبه مع التسلل

الرومانتيكية التي رددك بها وعندما ينزل شخص بحبسه الى
مستوى اقل من المستوى الذي وضعه هو فيه . وتذكرت اننى قد
عرفت « ليورك هاردنج » فلطة كبيرة من حقيقة من الحقائق وعالم
يبل وكان على ان امره وقلت له حينئذ : « ان من طبيعة البشر
ان يخطئوا » فضطك بعصية وقال : « ربما تفكر فى اثر معضل
ولكن لقد كنت اظن انه غير عرضة للخطا . ولقد احبته اى كثيرا من
الدة الاولى التي قابلته فيها واي من الناس الذين يعجب
ارسلهم » .

وكان الكلب الاسود الكبير المسمى « ديوك » قد وجد انه لو
ليتمود جر الفرة واخذ يعث فيها وقلت لييل : « هل لك ان تدعو
كلبك الى السكون ؟ » فقال : « آوه . آنا آسف جدا . ديوك . ديوك
- اجلس هادئا - ديوك » وجلس ديوك واخذ يلحس جسمه بصوت
مسموع - وملا الكفوس واصعدت فى اثناء مرورى ان اضائق
الكلب وسكت الكلب ولكن لدة « بسيطة » فقد اخذ يحك جلده
وقال ييل : « ان ديوك فى غابة الذكاء » .

— وما الذى حدث ليونس ؟

— لقد ذهبته سيارة .

— هل نالت ؟

— آوه . لقد حُرقت كثيرا . فانه كان يعنى شيئا لكم انما النسبة
كى ولكن على المرء ان يكون غافلا - فما من شيء يمكنه ارجاعه .

— ولو فقدت فونج هل تكون غافلا ؟

— آوه . نعم ارجو ذلك - قالت ؟

— اتى أشك فى ذلك - ربما أصبح مجنوننا - هل فكرت فى
ذلك يا ييل ؟

— كنت آتمنى ان تادبنى « اللق » يا « توماس » .

- لا . افضل الا اتادبك بذلك الاسم - فان الاسم « بيل » له معنى خاص . هل فكرت فى الامر ؟

- بالطبع انا لم أفكر فى فقدھا . وانتك احسن فرد مستقيم رابته . وكلما تذكرت كيف سلكت عندما اقتحمت عليك الفسقة فى ...

- انا اذكر اننى كنت افكر قبل ان انام فى تلك الليلة كم يكون الامر مريحا لو حدث هجوم وقتلت انت فيه . فتموت ميتة بطلا .
- لا تسخر منى يا توماس . ابدو لك غيا بعض الشئ ولكنى اعرفك عندما تريد ان تمزح .

- انا لا امزح .

فقال :

- انا امرف انك لو تجردت من عواطفك فانتك تريد لها الخير . وهنا سمعت صوت خطوات فونج - وكنت أتمنى أن يكون قد رحل قبل ان تعود هى - وسمع صوت مشيتها وعرفها وقال :
- هاهى ذى .

رغم أنه لم يكن لديه سوى ليلة واحدة ليتعرف على طريقة خطوها ، وحتى الكلب وقف الى جوار الباب الذى تركه مفتوحا لترطيب الجو ، وكان الكلب قد « اعتبرها » واحدة من عائلة بيل .
واتا شخص متطفل وقالت فونج :
- ان اخي لم اجدها .

ونظرت الى بيل بتحفظ ، ولعميت هل هى تذكر الحقيقة ان اخنها طلبت منها العودة بسرعة ؟
وقلت :

- هل تذكرين مستر بيل ؟

فقالت بادب :

- لى الشرف .

وقال لها ووجهه يتفزع بالحمر :
- أنا فى غاية السرور لرؤيتك لثقة .

فقلت :

- ماذا يقول ؟

فقلت :

- أن لغتها الانجليزية ليست جيدة .

فقال بيل :

- أنا أخشى أن تكون فرنسينى أكثر ضعفا ، وأنا أدرى الآن
وسوف أفهم لو أن مى فونج تكلمت ببطء .

فقلت :

- سوف أعمل كمترجم . فلن اللهجة المطقة تحتاج الى وقت
لفهمها والآن ماذا تريد أن تقول لجلس يا فونج ، ان مسمر
بيل قد حضر « حصيصا » لرؤيتك . هل أنت متأكد يا بيل أنك
لا تريد أن أخرج وأترككما معا .

فقال :

- أنا أريد أن تسمع كل ما سوف أقوله . والا لم يكن ذلك
عدلا .

- حسنا هات ما عندك .

وقال بوقار كأنه قد تمرن على قول ما يقوله انه يحب ويحترم
فونج كثيرا ، وأنه شعر بذلك من تلك اللثة التى رقص فيها معها
وترجمت أقواله بعناية وجلست فونج ساكنة ويدها فى حجرها
لكما لو كانت تستمع الى رواية فى السينما وقال بيل :
- هل فهمت هى ما قلته ؟

- بقدر ما أعرف . هل تحب أن أخبف شيئا من الحرارة الى
معدتك ؟

- آوه . لا ، نرجم فحسب أنا لا أريد أن أجلب حبها عن طريق
العاطفه .

— انهم ما يقولون »

فقال :

— قل لها اني لويد ان ازوجها »

وقلت لها ذلك فقال :

— وماذا قالت ؟

— قالت : هل انت جاد في طلبك ؟ • فقلت لها : انك متزوجة

الصفحة الجادة •

فقال :

— اعتقد ان هذا موقف محرج • ان اطلب منك بالذات ان

تترجم •

— فهم محرج •

— و انت تبدو طبيعيا • وعلى كل فانت احسن صديق لي »

— انوا لطيفة منك ان تقول ذلك •

— ليس هناك شخص اتوجه اليه في وقت المتاعب سواء »

واعتقد ان حبك للفتاة التي اعشقها هو نوع من التناهي •

.. بالطبع • وكنت اتمنى ان يكون حبيبها شخصا آخر سواء

يا توماس •

— حسنا • ماذا اقول لها بعد ذلك • هل اقول لها : انك

لا تستطيع العيش بدونها •

— لا • هذا كلام ماطفي جدا • وهو ليس بصريح كذاك »

حقيقة انه على • ان ام تتزوجني • ان ارحل بالطبع ولكن المزمع

يتعود التظلم على كل شيء •

فقلت له :

— هل من الممكن ان اقول كلمة بالنسبة لنفسى •

قل :

— لا • بالطبع لا • ان هذا من العدل يا توماس •

وقلت :

— حسنا يا فونج هل تريد ان تزكيني من اجله . انه سرق
يثزوجك وانا لا استطيع وانت تعرفى السبب .

فقلت :

— هل انت مسافر ؟

وفكرت فى خطاب رئيس التحرير لى جيبى وقلت :

— لا .

— آلى تسافر ابدا ؟

— كيف يمكن ان بعد المرء بذلك ؟ ان يمل نفسه لا يستطيع ان
بعد بذلك والزواج قد تنقسم عراه بسرعة .

فقلت :

— آلى لا تريد ان اتركك .

ولكن لوجتها لم تكن صريحة حيث انها كانت تحرم . لم يعلم
2 ولكن . . . وقال بيل :

— انى اعتقد انه على ان اخذ كل أوراقى على المسائدة — نانا
كسنت غنيا لكن عندما يموت أبى سارث نحو خمسين الف دولار .
وانا صحتى طيبة وقد كشف على طبيب منذ شهرين . وسوف
أطلقها على كشف ضغط الدم .

فقلت :

— آلى لا أعرف كيف أترجم هذا الكلام . وما الداعى له ؟ هل
هذه هى طريقة تجنب فى أمريكا . ارقام دحك ، وعدد ضربات
قلبك ؟

قال :

— آلى لا أعرف — فلم يسبق لى ان تقدمت بمثل هذا العرض —
وبما فى الوطن كانت أمى تستشير أمها .

— استشيرها من عدد ضربات قلبك ؟

قال :

بـ انسخر منى يا توماس ؟ انا اعتقد انى « موضة » قديمة ..
وانب تعرف انى ضائع فى مثل هذا الموقف .

ـ وكذلك انا . الا تؤمن معى بعدم جدوى هذه المناقشة ؟ ثم
ترمى الزهر ليكسبها احدينا .

ـ الاى تلعب القوة يا توماس . وانا اعلم انك تحبها بطريقة
يمثل القوة التى احبها انا بها .

ـ حسنا . واصل كلامك يا بيل .

ـ قل لها : اننى لا اتوقع منها ان تحبنى على الفور . فسوف
يمانى الحب بمرور الزمن بل قل لها : ان ما تعرضه عليها هو الاحرام
والامان . ان هذا لا يبدو مثمرا . ولكنه ربما كان احسن من
الموظف .
فقلت :

ـ انها تستطيع ان تحصل على العاطفة باستمرار وذلك مع
مسائك عندما تذهب الى المكتب .

وتصرح وجهه - ووقف بصعوبة على قدميه وقال :

ـ هذه تكة ففرد ولا احب ان تهان فونج وليس لك الحق ...
ـ انها ليست زوجتك بعد . فلماذا تعصب ؟ ماذا تستطيع
ان تقدمه لها . مئتي دولار عندما تترتها وتسافر الى انجلترا او
هل ستبقيها مع الاناث ؟
ـ انه الاناث ليس ملكي .

قال :

ـ وكذلك هى . فونج هل تزوجينى ؟
ـ وماذا من ضغط الدم وشهادة الفحص الطبي ، ومسوائه
تحتاج الى شهادة لها بذلك . وقد تحتاج الى شهادة خاصة لى
وكذلك سوف تحتاج الى شهادة بحسن طالعها . كلا فان هذه
عادة هندية .

ـ هل تزوجينى ؟

فقلت :

— قل لها بالفرنسية : قاتني ملعون أو ترجمت لك بعد ذلك .
ووقف على قلمي فزجر الكلب وقد جعلني ذلك قسوا . وقلت
له :

— اطلب من كلبك الملعون أن يسكت . إن هذا هو يسى وليس
بيته .

فكرر سؤاله لها :

— هل تتزوجيني ؟

وخطوت خطوة نحو فونج ورمجر الكلب ثانية وقلت لفونج :

— قولي له لا بد أن يذهب ويأخذ كلبه معه .

وقال بيل :

— تعالي معي الآن .

وقال بالفرنسية معي . فقالت فونج :

— لا . لا .

وكانت المشكلة « بسيطة » يمكن حلها بكلمة من حرفتين « لا »
وتصمرت براحة كبيرة ووقف بيل وقمه مفتوح قليلا وعلى وجهه
تعبير بنم من الحيرة وقال :

— لقد قالت « لا » .

فقلت :

— انها تعرف الى ذلك الحد من الانجليزية .

واردت ان اضحك لقد جعلنا من انفسنا مفعلين . وقلت :

— اجلس وتناول كأسا أخرى يا بيل .

قال :

— اعتقد انه على أن الاهيب .

— تناول كأسا واحدة .

فتتم :

— يجب ألا اشرب كل ما لديك من ويسكي .

— أتى لحصل على كل ما أربته من المفوضية .

وسدت نحر المائدة فكسر الكلب من اثابه وقال بيل بغضب :
- اشأ يا ديوك - كن مؤدبا .
وسح العرق الذي تصب على جبهته وقال :
- اسي قى غابة الاسف يا توماس لو كنت قلت كلاما لم يكن لي
ان افعله فانا لا ادري ما الذى حدث لى .

وتناول الكأس وقال :
- ان العائز هو الأحسن . « فقط » أرجو ألا تتركها يا توماس »
وقالت له :

- بالطبع أنا لن أتركها »

وقالت لى قونج :

- هل يجب أن يدخلن الفليون ؟

وسألته :

- هل يجب أن تدخلن الفليون ؟

- لا . اشترك سأشرب تلك الكأس ثم أنصرف . وأسف بخصوص
أن أقول لهما اني راحل . «
ديوك : قلته عاذريه بطيحه عادة »

- ابقى حتى نتمشى معا .

- أنا افكر فى ان اخلو بنفسى أن لم يكن لديك مانع »

وابتسم ابتسامة غير متوقفا منها وقال :

- لمتقد أننا ملكتنا ماركا غريبا . وانى اتمنى أن تزوجها
يا توماس »

فقلت :

- هل تريد ذلك حقيقة »

قال :

- نعم . منذ رأيت ذلك المنزل ذا الخمسةائة الفتره فمن ذلك
التاريخ وأنا خائف من اجلها .

وكره كاسر الويسكرى الذى لم يفتحه بسرعة غير ناظر الى
قوتنج . وعندما وضعنا لم يلمس حتى يدها بل حتى لها راحة
بطريقة فيها الخجل . ولاحظت كيف تاجته عيناهما حتى الباب
وعندما اقتربت من المرأة لاحظت ان الزوار الأعلى من «البنطون»
الى غير مكانه نتيجة لظهور «كرش» وفى خارج الباب قال
بيل :

— انى اعد بانى لن اراها يا توماس . وأنت لن تحصل ما حدث
يؤثر فى الصداقة بيننا . وسوف أطلب النقل عندما ابنى خنمى .»

— ومتى يكون ذلك ؟

— فى حوالى سنتين .

وعدت الى انغرفة وفكرت : « وما الفائدة ؟ . وكان اخرى
ان اقول لهما انى راحل .»

وقالت قوتنج :

— هل اعد لك الشراب ؟

— نعم . بعد لحظة سوف اكتب خطابا .

وكان هو الخطاب الثانى الذى كان على ان اكتبه فى ذلك
اليوم . ولم أمزق منه شيئا — بوجم ناسى من قائدته — بعد سنت
تقيه ما يلى : « عزيزتى هيلين . انى عائد الى انجلترا فى ابريل
القادم لأشغل وظيفة المحرر الخارجى . وتستطيعين ان تتخيلي انى
غير سعيد بهذا . فانجلترا بالنسبة لى هى رمز فشلى . وكنت
أتوى أن يلوم قواجننا . وحتى يومنا هذا فانى غير واثق مما حدث
لفقد حاول كلانا اصلاح الخطأ واعتقد ان عدم نجاحنا يرجع الى
مسوء خلقى وأنا اعرف كم اكون قاسيا وردينا فى سلوكى . والآن
اعتقد ان اخلاقى قد تغيرت والسبب يرجع فى ذلك الى اقامتى فى
الشرق . واخلاقى لم تتحسن وربما يرجع ذلك « بيسطة » الى
انى قد تقدمت فى العمر خمس سنوات وفى نهاية العمر تبدوا
لخمسة سنوات كجزء مما سيكون عليه الباقي . ولقد كنت كريهة

جدا معي بل لم تلوميني مرة واحدة منذ انفصالنا . فهل انتكسر
منك ان تكوني اكثر كرما . فانا اعلم قبل زواجنا انه لن يكسرون
هناك ملاق . وقد قبلت المخاطرة وليس لدى ما اشكو منه وفي
الوقت نفسه فاني اطلب منك ذلك الطلب الآن »

ونادت على فونج من السرير قائلة انها قد امدت الطاولة
الخاصة بأدوات الشراب وقلت لها :

— لحظة واحدة .

وتابعت كتابة الخطاب : « وكنت استطيع ان اقول ان ظلي
هنا من اجل مصلحة شخص آخر . وبذلك اجعله اكثر احتراماً
ولكن الأمر ليس كذلك . وكنا قد توأمدنا انا وانت الا يكذب بعضنا
على بعضي واقول لك اني احب فتاة حبا جما . وقد عشنا معا
مدة مستع . وكانت في منتهى الاخلاص لي . واعتقد اني غير
ضروري بالنسبة لها . فلو تركتها فاناها على ما اعتقد ستعزن حزناً
قليلاً ولكن لن تحدث مأساة . فسوف تتزوج شخصاً آخر ويكون
لها عائلة . وهذا حماقة مني . ان اقول لك ذلك . ولكن حيث
انني كنت صادقاً معك حتى الآن فسوف تصدقيني عندما اقول
لك : ان تركي لها بالنسبة لي سوف يكون « البداية » لوني . وانا
لا اسالك ان تكوني عاقلة . فالمنطق والعقل كله في جانبيك . ولا
اسالك كذلك ان تكوني رحيمة فكلية الرحمة كبيرة جداً بالنسبة
لفروني وعلى كل فانا لا استحق الرحمة واعتقد اني ما اطلب منك ان
تستعري في قلبك الحبة وان تتصرفي بسرعة قبل ان يكون
لديك الوقت الكافي للتفكير . واعلم ان ذلك ممكن وسهل عن طريق
التلويح او عبر ثمانية آلاف ميل لو انك ارسلت لي برقية تقولين
قيها : « اني اوافق » .

وعندما انهيت خطابي كنت اشعر كما لو كنت قد قطعت
مسافة طويلة وكنت تحت « نوتر » عميف فاستلعت على السرير
على حين احدثت فونج تعد الشراب وقلت لها :

— أنه شاب .

قالت :

— من ؟

قلت :

— ييل .

— أن هذا ليس مهماً إلى هذا الحد .

فقلت :

— أتى أرتعب في أن تزوجك لو استطعت يا قولج .

— أنا اعتقد ذلك . غير أن أختي لا تصدقه .

فقلت :

— لقد كتبت لزوجتي فورا خطابا أسأله فيه الطلاق .

منها ذلك قبل الآن وهناك فرصة لدينا .

— فرصة كبيرة ؟

— لا . أنها فرصة صغيرة .

— لا تهتم . اشرب .

وسألتها :

— هل كانت أختك موجودة بالمنزل حقيقة يا قولج ؟

فوصفت الغليون على الطاولة ، وقالت :

— ولكنك لن تسافر .

فقلت :

— لو رفضت أن أذهب . كيف يمكننا أن نعيش ؟

— أنا مستعدة لأن أذهب معك . فاما أحب أن أرى لندن ؟

قلت :

— أن ذلك سيكون غير مريح بالنسبة لك . لو عشنا هناك معا

دون زواج .

— ولكن ربما وافقت زوجتك على الطلاق .

فقلت :

- ربما -

إقالات ؟

- سوف أذهب معك على كل حال -

وكانت تعني ما تقول ورفعت الطبلون وقالت ؟

- هل هناك ناطحات سحاب في لندن ؟

وتعمرت بحبي لها من سداجة سؤالها ، فقد تكلمت على أدبها
عنها أو لخوفها مني أو لجرد أن تتفجع ولكن لم يكن لديها الذكاء
الكافي لاختفاء كذبها وقلت لها :

- لا ، إذا أردت أن تشاهدي ناطحات السحاب فليكنك أن

تذهبي لأمريكا -

فنفذت إلى نظرة مريبة من فوق الكأس التي في يدها وهرعت
بفلسفتها - وأخذت تتكلم وهي تعد الملابس التي سوف ترتديها عند
ذهابها إلى لندن - كما تكلمنا من المترو تحت الأرض التي قرأتها
في إحدى الروايات و « الأويست » ذات « الطابقين » . وهل
سنسافر بالطائرة أو نأخذ الباخرة وكذلك تكلمت عن تمثال
الحرية فقلت لها :

- يا فونج - إن تمثال الحرية أمريكي -

الفصل الرابع

بعد مرض طويل الزمنى الفراش مدة فى المستشفى صعدت
على السلم ببطء الى مسكنى فى شارع كاتينات وأنا أتوقف وأستريح
على أول « بسطة » منه . وأخذت النسيئة بشرقون « كعادتي » ومن
يجالس على الأرض . وصاد الصمت فلما مرت وساءت نفسي
بمرى ماذا كن يظن لى لو كنت أعرف لفتن ؟ أصوف يخبرنى عن
الأحداث التى مرت فى أثناء وجودى فى المستشفى . ولقد كنت
أفقد مفاتيحي بين البرج والحقول ولكنى أرسلت خطابا الى فونج
ولابد انها سلمته لو كانت مازالت موجودة ، فانا لم أسمع اى
اخبار عنها فى المستشفى ولكنها كانت تكتب الفرنسية بصعوبة وأنا
لا أستطيع قراءة الفينامية .

وقرعت الباب وفتح على النو وبدأ كل شيء كما تعودته
ورقبته بدقة وهى سألتنى من حالى ولمست ساقي الجرحمة
وأعطتني كتفها لكنى استند عليها كما لو كان المرء يستطيع ان يعتمد
وهو آمن على الفراخ الغض وقلت :

— أنا سعيد بعودى الى المنزل .

وقالت لى :

— انها افقدتني .

وهو بالطبع ما كنت أريد أن أسمعته وهى مفعودة قول ما أحبه
أن أسمعته كانها حوذى يجيب عن أسئلة الراكب الا ما قد يبدو منه
من غير قصد . والان انتظرت حدوث ذلك وسألتها :

— أسليت نفسك ؟

قالت :

- انى كنت ارى اختى دالما . فلقد حصلت على وظيفة مع
الأمريكيين .

- هل ساعدك ييل ؟

- ليس ييل . انه جو .

- من هو جو ؟

- انك تعرفه فهو المحقق الاقتصادى .

- آه بالطبع - جو .

فقد كان جو من السهل نسبانه . وحتى يومنا هذا لا أستطيع
تذكر شيء عنه هذا سمعته وذقته الحليق المعطر وضحكته العالية
واسمه وكل مميزات شكله هذا ما تقدم لا أذكرها وهناك بعض
الرجال يختصرون دائما أسمائهم .

وبمعاونة فونج استلقيت على السرير . وسألتها :

- هل شأصت أية روايات سينمائية ؟

قالت :

- ان هناك فيلما سينمائيا فى سينما كاتينات .

وشرمت على الفور تقص على قصة الفيلم فى اسهاب وتفصيل
على حين شغلت أنا بالنظر الى جوانب الحجرة عسى ان ارى مظهرا
ابيض يمثل التعرّاف الذى أنتظره . وربما كان المظسروف على
المنصدة بجوار الآلة الكاتبة او على « التسيّجة » . وربما وضعته
قريادة فى السلامة داخل « الدولاب » فى أحد الأرفاج حيث تحفظ
مجموعتها من « الإشارات » وواصلت الكلام من العيلم .

ثم قالت :

- لقد كان الفيلم مضحكا .

وقلت لها :

- فليبنى يا فونج ؟

قامتحيات على الفور ولم يكن لديها شيء من خداع النساء
وكانت تعمل على الفور ما اطلبه منها . وهكذا بكل « بساطة » كانت
مستعدة لأن تبادلني الحب وسألني :

— هل جامني خطيبي ؟

فقلت :

— نعم .

فقلت :

— لماذا لا تعطني إياه .

فقلت :

— أنك لا تستطيع أن تعمل عليك أن تستريح .

— ربما كان الخطاب ليس له دخل بالعمل .

وأعطتني الخطاب ورايت أنه قد قضى قبل ذلك وقرأت : « نريدك
تشرافا من أربعمئة كلمة عن الجنرال لائر وتأثير رجيله على الموقف
العسكري والسياسي » وقلت لها :

— نعم أنه بخصوص العمل — كيف عرفت ؟ ولماذا قرأته ؟

قلت :

— لقد ظننت أنه من زوجتك وكنت آمل أنه يحمل أخبارا

طيبة .

فماكنتها :

— من الذي ترجم الخطاب لك ؟

— لقد أخذته إلى أختي .

فقلت :

— لو كانت الأخبار حسنة هل كنت لتركيثني بأكوني ؟

فمسمحت بيدها على صدري لكي تبحث في الثقبوهي لم تنطق
أن ما أريد منها في هذا الوقت هو الكلمات مهما كانت غير صادقة
وقالت :

- هل تريد أن تدخن ؟ ان هناك خطابا لك وامتدحك الى مرع
زوجتك .

قلت :

- هل قمت ذلك ايضا ؟

- انا لا اطلع على خطاباتك - اما التلغرافات فهي للجميع .
لان الكتبة في مكتب التلغراف يقرعونها .

وكان الظروف الوارد به خطاب زوجتي قد وضعت بين
« الإخباريات » وقامت وتاولتني اياه . وتعرفت على الخط وأردت
ان اسمالها : لو كانت الاخبار سيئة ماذا مستعمل ؟ لاني اعلم انه
الاخبار من زوجتي لن تكون الا سيئة . وارسالها الخطاب يؤكد ذلك
فلو ارسلت لي تلغرافا لدل ذلك على توبة مفاجئة من الكرم .
لما ارسال الخطاب فمعناه الشرح وسرد المبررات .

وقالت فونج :

- ما الذي انت خائف منه ؟

قلت لنفسى :

- اني خائف من الوحدة ومن نادى الصالحين - والعزلة وجع
يل وقلت لها :

- جهزى لى كاما من البراندى والصودا .

ونظرت الى الخطاب وقرأت في اوله « عزيزى توماس » والى
آخره « المحبة . هيلين » وانتظرت البراندى والصودا وقلت : انه
يتمها . وقبل ان ابدأ في قراءته فكرت في . . هل اكلب أو اقول
لفونج الحبيبة . وكان الخطاب كالتالى : « عزيزى توماس . انا لم
ادرس عندما تلقيت خطابك وعرفت انك لا تيسر بمفردك . فانت
كأن بالرجل الذي يستطيع ذلك هل انت الذي يدعى سليم ان يمشى
بجارد مدع طويلا ؟ انت تلحق النساء كما يلتقط رذاذ التراب
وربما كنت انت الذى يئى من الشفقة بالنسبة لك لولا شعورى بانك
لست امكرك ان سب ما يسليك بسهولة عند وصولك الى لندن »

وإنا لا نعتقد أنك سوف تصدقنى . ولكن الذى جعلنى أجهل ولا
أرسل لك تلغرافا فيه كلمة « لا » هو تفكرى فى الفتاة المسكينة
التي تعيش معك فنحن أكثر منك أهمية فى الموضوع » .
وتناولت جرعة من البراندى »

وقالت لولبع :

— هل الأخيلر سيئة ؟

فقلت :

— شديدة بعض الشيء . ولكنها محقة .

وقرأت باقى الخطاب :

« أتى كنت دائما أعتقد أنك تحب « آن » أكثر من أبة واحدة
قينا حتى جمعت متاعك ورحلت . وأنت الآن يمسكك أنك ترسم
لخطتك لتركة فتاة أخرى وأستطيع أن أقول : أنه من ثيابا خطابك لم
تكن تتوقع منى ردا مناسباً . لقد كتبت تقول : « أنك فعلت ما فى
وصحك » ألم تفكر أنت فى ذلك ؟ وما الذى كنت تفعله لو أرسلت
لك برقية أقول فيها « نعم » ؟ هل كنت مستزوجه وأنت لم تقل
لمى اسمها وربما تخبرنى عن اسمها ؟ . واعتقد أنك مثل بقسنا لقد
أقدمت فى السن ولا تحب أن تعيش بمفردك وأنا نفسى أشعر
بالوحدة القاتلة أحيانا . واعتقد أن أن قد وجدت صديقا آخر
ولكنك تركتها فى الوقت المناسب » .

وقلت لنفسى : لقد أصابت الجرح القديم بالضبط . وشربت
جرعة من البراندى وقالت لولبع :

— دعنى أمد لك شرابا مرة أخرى .

وقلت لها :

— أفعلى . أفعلى لى ثوى .

وتأملت القراءة :

« أن هناك سببا واحد يجعلنى أقول لك « لا » ولا داعى للكلام
من السبيل الدينى لأنك لم تعتقد أو تعلم هذه اللساحية قط » .

قال رواج لا يمتنعك من ترك امرأة . هل هو ؟ بل تحسب بآخر الليل
سيحدثك . وصوف يكون الأمر غير عادل بالمرّة لهذه الفتاة التي
تعيش معها لو بقيت معها مدة مثل المدة التي قضيتها معي - وموفه
تأتي بها معك الى لندن ومشتعر بأنها قريبة وعندما تتركها بيناتها
الخوف وأنا اعتقد أنها لا تعرف حتى كيف تستعمل الشوكة
والسكين . وأنا قاسية في الكلام لاني أريد مصلحتها هي ولكن
يا عزيزي توماس أنا أفكر فيك كذلك »

وأحسست بالمرض . فلقد مر وقت طويل منذ تلقيت خطابا
من زوجتي ولقد دفعتها الى كتابه هذا وكنت أشعر دائما في كل
سطر منه وكان الها يحرك الى فتحن قد عدنا الى النظام القديم من
أبلام كل منا للآخر .

وكنّت مسرورة لمراجعة زوجتي لي ثانية . فلقد سميت الامها
مدة طويلة وكان هذا هو الارضاء الوحيد لها .

وقالت قوتج :

« هل مشتركك لتزوجني ؟ »

« آنا لم اعرف بعد »

فقالت :

« ألم تقل في خطابها ؟

فأجبتها :

« لو قالت ذلك فأتها بقوله ببطء شديد .

وفكرت . لم يشعر الاساس بالكبر عندما يجد نفسه مشغولا
من جانبين ؟ . أن الحروب الحقيقية أكثر براعة من هذه الحرب
ومدافع البروتار لا تنزل أضرارا أكثر من هذه الأضرار . وواصلت
المرحلة :

« ولو استجبت ضد كل مشاعري وقلت : « نعم » فهل يكون
ذلك حسنا بالنسبة لك . فاقده ذكرت انك استعفيت الى انجلترا
وان ساعدك انك تكره ذلك ويعمل أي شيء لتجعل الامر أكثر سهولة

واستطيع أن أرى أنه في إمكانك التفكير في الزواج بعد شرب عدة
كؤوس وفي أول مرة حاولنا ذلك أنا وأنت ولكننا فشلنا والإنسان
لا يبذل الجهد نفسه عند تفكيره في الزواج مرة أخرى . وأنت
تقول : إن تفكيرك هذه الفتاة معناه أن هذا نيابة حياتك . وقد
استخدمت الجملة نفسها سابقا بالنسبة لي وأستطيع أن أريك
الخطاب . فما زلت محتفظة به واعتقد أنك كتبت بالطريقة نفسها
إلى « آن » وقلت : أننا دائما نحاول أن يقول أحدهما للآخر ،
ولكن باتوماس صدقك كان دائما مؤثقا . وما الفائدة من المناقشة
معك أو محاوله جعلك تفهم الأسباب أنه من الأسهل أن أفضل ما تلييه
على عقيدتي وهو ما تظنه غير منطقي وأنت تكتب « ببساطة » . أنا
لا اعتقد في الطلاق ودينى يمنع الطلاق والجواب من السؤال
يا توماس هو « لا . لا . لا »

وكان هناك نصف صفحة قبل « الامضاء » ولم أقرأها واعتقد
أنها تحمل أخبار « الطقس » وأخبار احلى عماني التي احبها .

ولم يكن لدى سبب للشكوى . وكنت اتوقع الجواب وفيه
كثير من الحماوى وكنت أرحو الا تعرض أفكارها حكما بهذا الشكل
من الشرخ المؤثم لى ولها وقلت لغوتج :

~ انها تقول لا « وقلت ذلك بدون تردد » فهي لم تستقر على
رأى . وهناك بعض الأمل .

وشحكت فوتج وقالت :

~ تقول هناك أمل ووحبك في غاية الحزن .

واستلقت عند قدمي وسألت نسي ماذا افعل ليل ؟ . وعلما
أن شربت أكثر احسبت أنني أكثر استعدادا لمواجهة المستقبل
وقلت لها ان الأمل كبير في موافقة زوجتي على الطلاق وانذوجتي
تستشر احد المحامين وأنه من المتوقع بين يوم وآخر ان ألقى
التفراق الذي يجعلني حرا .

وقالت لي هي ، وكان صوت أختي الذي يتكلم :

- ان التفراك ليس مهما الى هذه الدرجة . وفي امكانك ان
تتخذ معها اتفاقا »

فقلت لها :

- انا لست مدخرا نقودا ولا أستطيع ان افوق بيل في هذه
التاحية .
فقلت :

- لا تقلق ربما حدث شيء قهناك « عادة » طرق كثيرة وتكون
أختي : ان في امكانك التأمين على حياتك .

وفكرت في الطريقة العملية التي تفكر بها اختها والتي لا تقلل
من أهمية النفود في حل المشكلات ولا تجعل من روابط الصبح
شيئا كبيرا .

وفي ذلك المساء اشترت فونج ثلاثة « ايشاريات » من الجريز
قبل ان تغلق المحال في شارع كاتينات وجلست على السرير
واحدت تعرضها على وهي تصبح مبتهجة بألوانها الجذابة وهي
كامل الغرفة بصوتها الموسيقى ثم طوتها بعناية ووضعتها مع باقي
الأمس في درج « الدولاب » وكان يبدو أنها تعد العدة لأقامة
طويلة ومساعدتها في ذلك بأن كتبت خطابا الى بيل في المساء نفسه
وكان خطابا غاية في الوضوح والظفر الى المستقبل . - هذا هو نص
الخطاب التي كتبه في الليلة نفسها : - الى : - نادية في
كتاب « بورك هاردينج » مسئولية القرب ، الذي اخذته من منزله
ولاند له كار بقرأ الكتاب عندما وصل اليه الخطاب فوضعه داخله »
كتبت له اقول :

« عزيزي بيل »

« لقد آتيت ابوي ان اكتب لك من المستشفى لكن اشكرك على
ما حدث في الليلة المعجزة . لقد اعتدتني حبة من مساية غير
مريضة . وأنا أستطيع ان اعطي الآن معتدا على عصا . فليقد كان
الذكر في ساقى . وعندى ما اريد ان اطلعه لك . وأنا عارف بانك

حسوك بسر له لائك كنت تقول دائما : ان « صالح » فونج هي ما نريده نحن - الاثنين - فلقد وجدت خطابا من فوجتي عندما عدت الى المنزل وهي موافقة على طلاقى وبذلك فانت لست في حاجة الى ان تقلق على فونج .

وسالنتى فونج اى لون تمضيه في الايشلرلات فانا احب اللون الاصفر ؟ . فقلت لها : « نعم » اللون الاصفر ، ثم قلت : هل لك ان تلحى الى الفندق وترسلى هذا الخطاب بالبريد ؟ فنظرت الى العنوان وقالت : استطيع ان احمله الى المفوضية وبذلك يوفر طابع انبريد . فقلت : افضل ان ترسله بالبريد .

ثم بعدت في قرائى مراحا وقلت لنفسى : هل اقل هي ان تتركنى الآن قبل ان اضطر الى السفر وربما في ايام الشراى ام استطيع ان اذكر فى طريقة تمكتنى من 'بعس' . وتمضى الحياة الممتدة . وكما فى الفارات الجوية فلان من الاستحبال ان يكون الانسان خائفا باستمرار . فالود صحت قائم العمل اليومى والاحداث التى تقابله والانفعالات غير الشخصية بعدا خروفا الشخصية . وكان التفكير فى شهر ابريل ومقدرة الاستمعة والمستقبل المجهول بدون وجود فونج كل هذا قد تاقى بالانزعاجات اليومية الخاصة بالعمل والتشرات التى تصيبه . فونج اقل وبعرض مساعدى وهو رجل هندي من « حوا » حوا عائلة الى البلاد من طريق بومباى واسمه « دومنجيز » وكان يحضر فى غياى التومرات الصحفية غير المهمة ويفتح اذنيه الى الاشاعات وما يدور من كلام ويوصل التافرافات التى اكسها الى مكتب التفراف والى الرقيب وثان يقوم بمصونة ابداء وطنه من الهندود من التجار وخاصة فى الش . مال فى هافويج دهانوى ولم دينه بأعمال الحاسرات لحساب . واعتقد انه كان يعرف اكثر من المندوب السامى الفرنسى اماكن حوا الكا . الشيعة فى دلتا نهر توسكين .

ولكننا لم نكن نستحب الاحبار التى نحصل عليها الا عندما تصبح سرودة ولم تكن تدلى باية معلومات الى المخابرات الفرنسية وكان يسبحوذ على صداقة العديد من القيتاسين ونفتهم وخاصة

الى ساجون ولكنه كان أصبورا بالرغم من اسمه كان هذا مدعاة
للثقة الكبيرة به .

و كنت أحب « دومنجيز » لأخلاقه « وكل ما تحسه قس
أخلاقك به في المعاملات اليومية هو رفته وتواضعه وحب
الحقيقة ولا يستطيع أن يكشف كبرياءه إلا من كان شديد الالتصاق
به مثل زوجته وربما كانت الحقيقة والتواضع صفتين متلازمتين
من صفاته وأن كثيرا من الأكاذيب مبعثها كبريائنا وفي مهنة كهنتي
وهي الصحافة فإن كبريائي متمثل في أن أكتب بحقيقا صحفيا
أهم من الذي يكتبه الصحفي الآخر . ولقد كان « دومنجيز » هو
الذي ساعدني على عدم الاهتمام بالتفرقات التي ترد من إنجلترا
فتساءل : لماذا لم أكتب عن هذا الحدث أو ذاك ؟ أو لماذا لم أكتب
القصة التي رواها مراسل آخر ؟ وأنا لم أكتب هذه القصة لعلمي
بكذبتها .

والآن بعد أن مرض دومنجيز تحققت كم أنا مدين له . لماذا
لا أهتم به وكان هو يهتم بكل شيء حتى سيارتي كان يراها ويرى
أنها ملوثة بالبنزين ؟ ويرغم كل ذلك فلم يحدث مرة واحدة أن
تدخل في حياتي الخاصة ولا حتى بمجرد نظرة « واعتقد أنه كان
كاتوليكيًا » . غير أنني لم يكن لدى ما يؤيد ذلك سوى اسمه والمكان
الذي سمي إليه . والآن وخلال مرضه الذي كان يبدو لي أنه جاء
رحمة لي لأن وقتي كله قد أصبح مشغولا ، وبذلك خلصتني من
القلق الشخصي . أصبح على أن أحضر المؤتمرات الصحفية وأن
أذهب إلى فندق الكونستانتل لاستمع إلى أحاديث زملائي
وأشارتهم فيها . ولكنني كنت أقل من دومنجيز مقدرة في تمييز
الصحيح من الأخبار من الكاذبة فيها ولذلك تمودت الرور عليه في
الساء لماقصة ما قد سمعته من أخبار وأخبارنا كنت أجدهم لديه أحدا
أصدقائه من اليهود جالسا بجوار السرير الحديدي الصغير الذي
يأم عليه في المسكن الذي يشارك فيه آخر في أحد الشوارع
السرية المعروفة من شارع جالبي . وكان عندما يراني يجلس في
السرير وقد جمع قدميه تحته حتى يحيل إليك لا تزود مريضا

بل ان الذى يستملك هو مهرأحا أو قسيس ومنلما كائت تتملكه
الحصى كان وجهه ينضج بالمرق ولكنه لم يكن يعقد قط صفاء ذهنه
وكان يبلو كما لو أن المرض الذى به حل بجسم آخر غير جسمه .
وكلت صاحبة المنزل الذى يقم تضع دائما بجوار سريره ابريقا
مملوءا بالثراب غير أنى لم أره مرة واحدة يتناول منه شيئا .

وكان هو الذى يسأل مقلق زائد من صحتى ويمتد عن السلام
الذى اضطر الى ارتقاها لزيارته ثم قال :

— أحب أن أقدمك الى صديق لى فلديه قصة يجب ان سمعها
فقلت له :

— نعم :—

فقال :

— لقد كتبت اسمه فى ورقة لانى أعرف انك ستجد صعوبة
أنى تذكر الاسماء الصعبة ومعهم انما لن نسر هذا الـ . .
وصديقى هذا يملك مخزنا للبضائع على « رصيف » مينو والحرث
خاص بالحديد « الخردة » .

— هل القصة مهمة ؟—

— قد تكون كذلك .

— هل لك أن تعطى فكرة منها .

— أفضل أن تسمعها منه . هناك شيء غريب ولكن لا الهمة .

وكان العرق تنصيب من وجهه ولكنه لم يسمحه وتركه ، لانما
حيات العرق كائنات حية ومقدسة . وهكذا كان بمثل سلوكه
صورة الهندوكى الاصيل من تحمل للألم دون شكوى ولم يكن يقدم
قط على تعريض حياة ذبابة للحظر . . ثم قال :

— كم تعرف عن صديقك بيل ؟—

— لا أعرف كثيرا فأتصاها متضاد . وهذا كل ما فى الأمر .
وانا لم أره منذ كنا معا فى « ثان بن » .

— آية وظيفة يعمل فيها ؟ —

— البعثة الاقتصادية ، ولكن عمل هذه البعثة يغطي تحتها مساوي كثيرة واعتقد أنه مهم بالصناعات الخولية . واعتقد أن اهتمامه هذا ذو صلة بالسياسة الأمريكية . وأنا لا أحب الطريقة التي يدفعون بها الفرنسيين لإواصلة القتال وفي الوقت نفسه يراحمونهم في تجاراتهم .

— لقد سمعته يتكلم منذ أيام في حفلة أقامتها المفوضية لرجال الكونجرس الرأئيين . فلتقد عينوه لكي يزودهم بالمعلومات من البلاد .

فقلت :

— ليكن الله في عون الكونجرس فهو لم يدر عليه ستة أشهر إلى البلاد .

— لقد كان يتكلم عن القوى الاستعمارية القديمة — فرنسا وإنجلترا — وكيف أنهما لا يستطيعان كسب ثقة الآسيويين وأن الدور حل على أمريكا التي تدخل الميدان .
فقلت له :

— لابد أنه تكلم عن استعمارهم لهونولولو وبيورتوريكو ونيو مكسيكو .

فتابع دومنجيل كلامه قائلا :

— أذهب إلى صديقي وتكلم معه .

وعنت إلى المنزل حيث تركت مذكرة لفوجي وأخلت عربة إلى المياه فوصلت عند غروب الشمس . وكانت النافذة والكراسي قد أخرجها أصحاب الفأهي إلى « رصيف » المناء بجوار الواح الراسية والسفن الحربية وكانت الطائخ المحمولة مشتعلة لظهي وجبة المساء . وفي شوارع « السوم » كان الحلاقون الجائلون منومكين مع « تزيانهم » تحت الأشجار وقارنو الطالع قد جلسوا القرقصاء واستندوا ظهورهم الحائط وأمامهم « أكواب » من ورق

اللب . وفى حى « شولون » تجد نفسك فى مدينة مختلفة عن بقية مدينة سايجون حيث يبدو كأنما النشاط اليومى أخذ فى البدء لا فى الانتهاء عند مغيب الشمس والسير فى الحى بشبه السير فى اجزاء مسرحية . فاللافتات العمودية المكتوبة باللغة الصينية والألوان الوهاجة والأزرحام الذى يحيطه وجود ممثلين (ضاحيين . كل ذلك تسير فيه كأنك ستأثر فى أجنحة المسرح وأدورقته الطفوية حيث يتحول المنظر فجأة الى هدوء أكثر وأصواء أضعف وفى مثل هذا الجو وهذا الشعور سرت الى أحد « الأرمقة » حيث تتزاحم الزوارق وتوجد المخازن مخفية فى الظلال ولا أحد يوجد هناك . ووجدت المكان الذى أبحث عنه بصوبة وبالصداقة . فالأبواب الذهبية كانت مفتوحة وكنت أستطيع أن أرى على ضوء مصباح « أكوام » البضائع القديمة . « كلها منظر من رسوم بيكاسو ، أسرة قديمة ، وأحواض استحمام ، « وطمايات « للسجائر ، وهياكل سيارات . وصوت خلال مر ضيق وتلايت من يلقى ممشى شى ولكن ما من مجيبة . وفى نهاية الممر وجدت سلما يؤدي الى المدخل الخلفى للمسكن . وحى السلام كانت مملوءة بقطع من الحديد التى قد تصلح فى يوم ما لاستخدامها فى المنزل . وكان هناك غرفة كبيرة فى المدخل والمائلة تجلس وينام بعض أفرادها كأنما هم فى مصكر للراحة مرصة فى أى وقت للرحيل ، وهناك أكواب الشاي متناثرة فى كل مكان وحديد من الصناديق مملوءة بأشياء لا حصر لها ، وسلام من الفبر جاهزة . وسيدة كبيرة فى السن جالسة على سرير ويتان ووليان . وطفل يزحف على الأرض . وثلاث نسوة متوسعات فى العمر فى سراويل بنية اللون « وجاكتات » من القماش نفسه ورجلان فى زاوية الغرفة فى ملابس زرقاء بلبان لينة للتسلية ولم يعرنى أحد أنبهاها عندما دخلت ، وكان الرجلان يلعبان بسرعة ويتعرفان على القطع التى يلعبان بها بلمسها وكان الصوت يشبه حفيف الرمال على الشاطئ بعد انحسار الموج وقفرت قطة على أحد الصناديق واقترب كلب منى ليشمى ثم تراجع وقلت :

ـ المستر شو .

وهزت امرأتان من الثلاثة راسيهما دون أن تنظرا إلى احد
منهن في العرفة ورفعت امرأة قدحا من الشاي فمسلته لم ملاه
من وعاء ساخن في صندوق مبطن بالحرير . وجبست على حافة
السرير بجوار السيدة العجوز واحصرت في فتاة قدح الشاي وبدأ
كما لو أسي قد انمجت في الجو مثل مثل القطرة والكلب . وزحف
الطفل على الأرض ومد يده ليجذب رباط حذاءي ولم ينهره أحد
وعلى الحائط كانت توجد ثلاث نتائج من التي توزعها
للبيوت التجارية وعلى كل منها صورة فتاة في لباس
صيني زاهي اللون ذات خيلود « مودة » . كما توجد
مرآة كبيرة كتب عليها « قهوة السلام » وربما كانت من المظلمات
وشرسه على سهل الشاي الأخضر المر وأنا أنقل « العنجدار » التي
ليس له يد من كب إلى كب كلما أحرقتنى حرارته . لم حاولت
محاكاة أفراد العائلة بالفرنسية وسألتهم :

ـ متى يحضر مستر شو ؟

ولكن لم يجبني احد . وربما لم يفهموا قولي . وعندما
أقرء قدحى ملووه مرة ثانية وظل كل منهم على ما هو فيه ،
أقامرة كانت تكسوي الملابس وفتاة تقوم بالحياكة .
والصبيان متهمكان في الاسدكار . والسيدة العجوز تنظر إلى
قدميها الصعرتين نتيجة « للعادة » الصينية القديمة من لبس
الأخذة الحديدية في العنجر . والكلب يرقب القطعة التي غلت
بجائسة فوق الصناديق . وبدأت أحقق الحياة الشاقة التي يحياها
دومسجيز .

ودخل رجل صيني - في منهي النحافة - الفرقة وكان يبدو
وكأنه لا يشغل حيوا ما أو كأنه في سمك الورقة التي توصل لفصل
الكويك بعضه عن بعض في الصناديق وكل السمك فيه متمثل
إلى بعلمته المخططة التي يرتديها . وسألت :

ـ المستر شو ؟

فَنظَرَ إِلَى دُونِ صَبِيرٍ بَلَدَكَ فَرَّ مِنْهُ . وَنَظَرَتْ إِلَى نَحَافَةِ
مَصْلُفِيهِ وَإِلَى ذِرَاعِيهِ اللَّتَيْنِ فِي حِجَمِ ذِرَاعِي فَتَاةٍ صَغِيرَةٍ وَمَعْصَمِيهِ
الَّذَيْنِ يَشْبَهُانِ مَعْصَمِي طَعْلٍ ، وَقَلَّتْ :

— أَنْ صَدِيقِي مَسْتَرٌ دَوْمَنْجِيزٌ قَالَى لِي أَنَّ لَدَيْكَ شَيْئًا تَرِيدُ
أَنْ تَطْلُعَنِي عَلَيْهِ . هَلْ أَنْتَ مَسْتَرٌ شَوْ ؟
— نَعَمْ أَنَا فَعَلًا الْمَسْتَرُ شَوْ .

وَإِشَارَ إِلَى بِاحْتِرَامٍ أَنْ أَعَاوَدَ حُلُوسِي وَخَيْلَ إِلَى أَنَّهُ قَدْ نَسِيَ
السَّبَبَ الَّذِي جِئْتُ مِنْ أَجْلِهِ وَسَأَلَنِي هَلْ أُرْغَبُ فِي قَدَحٍ مِنَ الشَّايِ
وَأَنَّهُ تَشْرَفَ جِدًّا بِزِيلُونِي — قَدِمَ لِي قَدَحًا آخَرَ . وَنَظَرَ الرَّجُلُ
حَوْلَهُ إِلَى عَائِلَتِهِ كَأَنَّمَا يَرَاهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَقَالَ :

— أُمِّي وَاخْتَى وَزَوْجَتِي وَعَمِّي وَاخْتَى وَأَطْفَالُ عَمَّتِي .

أَمَّا الطِّفْلُ فَقَدْ رَحَفَ بِعِيدَا عَنْ قَدَمِي وَبَادَ عَنِّي فَعَرَهُ بِعَمٍّ يَضْرِبُ
الْهَوَاءَ بِقَدَمَيْهِ . وَسَأَلَتْ نَفْسِي : تَرَى طَعْلٌ مِنْ مِي مَزَلَاءَ ؟ فَجَلَسَ فِي
الْأُجُودَيْنِ مَنْ هُوَ فِي رِيْعَانِ الشَّيْبِ أَوْ فِي سِي مَنَاسِيهِ لِيَنْجِبَهُ
وَقَلَّتْ :

— لَقَدْ قَالَى مَسْتَرٌ دَوْمَنْجِيزٌ أَنَّ لَدَيْكَ أَشْيَاءَ هَامَةً .

— آه . مَسْتَرٌ دَوْمَنْجِيزٌ — أَمَلَى أَنْ يَكُونَ فِي صِحَّةٍ طَيِّبَةٍ .

— لَقَدْ أَصِيبَ بِالْحُمَّى .

— أَنْ الْوَقْتَ غَيْرَ صَحِيٍّ بِالنَّسَبَةِ لِهَذَا الْعَصَلِ مِنْ فَصُولِ
السَّنَةِ .

وَخَيْلَ إِلَى أَنَّهُ لَا يَتَذَكَّرُ مَنْ هُوَ دَوْمَنْجِيزٌ . وَاخْتَلَفَ بِسَهْلٍ
وَتَحَتَ بِجَاهِمَتِهِ الَّتِي فَقَدَ مِنْهَا رَرَارِينَ بِدَا جِلْدَهُ مَشْدُودًا مِنَ الْكُمَةِ
كَأَنَّهُ مَسْلُوقٌ عَلَى حَبْلِ فَقَالَتْ لَهُ :

— يَجِبُ أَنْ تَرَى طَبِيبًا أَنْتَ نَفْسَكَ .

ثُمَّ أَحْسَسَتْ أَنَّ مَنَّاكَ قَادِمًا جَدِيدًا قَدْ دَخَلَ عَلَيْنَا . وَكَانَ شَابًا
يُرْتَدِي حِلَّةَ أُورُبِيَّةٍ أَمِيَّةٍ وَقَالَ بِالْإِنْجِلِيرِيَّةِ :

« ان مستر شو ليست له الا رثة واحدة »

فقلت :

« اتى أسبق جدا »

« انه بدخني كثيرا »

« ان هذا قطيع »

« ان الطبيب قال له : ان ذلك مضر بصحته »

ثم قال :

« هل لي أن أقدم نفسي ؟ أنا مدير أعمال مستر شو »

« اسمي فولر » ولقد أرسلني مستر فومنجيز حيث قال لي :
« ان لدى المستر شو شيئا يريد أن يقوله لي »

« ان ذاكرة المستر شو قد ضعفت » هل لك في قدح من
الشاي ؟

« أشكرك لقد تناولت ثلاثة أقداح منه »

وقلت ذلك كأنه رد على سؤال وسؤال عما حدث من أجله .
وتناول مدير أعمال مستر شو القدح من يدي وسلمه لاجلتي
السيب التي ملأته مرة ثانية . وتناولها عنها وتذوقه وقال :

« ان هذا الشاي ليس قويا بما فيه الكفاية »

ثم قام بفصل القدح وملأه من ماء آخر وقال :

« ان هذا أحسن »

فقلت :

« نعم أحسن بكثير »

« وسلك » مستر شو زوره ويصق في مبطنة من الصايغ مزينة
بأزهار حمراء وأخذ الطفل « يتعلم » بين الصناديق وفهرس القطعة
من ذوي الصندوق الى حقيبة وقال مدير الأعمال :

« يحسن أن تتكلم معي » ان اسمي مستر هنج »

« لو أمكنك أن تقص علي ما حدث لسماعه »

« يحسن أن تنتقل إلى المخزن فهو أكثر هدوءاً »
ومدحت يفتى إلى مستر شو الذي تناولها بتي. بن الدعشة .
وأخذ ينظر حوله في الغرفة كما لو كان يريد أن يجلس متلائماً
معيها . ونزلنا من الدرج أنا والمدير الذي قال لي :

« حاذر فان « السلامة » الأخيرة غير موجودة » .

وأشعل بطارية لتسير لي الطريق ووصلنا إلى المخزن بين الأسرة
القديمة وأحواض الحمام وقادني مستر هنج إلى سر جاني عندما
مبارحو إلى مشرين خطوة توقف وأضاء البطارية ومسطها على
برميل من الحديد وقال :

« هل ترى ذلك ؟ »

قلت :

« وماذا عنه »

فأدار البرميل وأظهر المصاصة التجارية عليه فقرأت عليه :

« ديولكتون » +

فقلت له :

« إن هذا لا يعنى شيئاً بالنسبة لي »

فقال :

« إن لدى برميلين من هذا النوع . لقد عثرنا عليهما في جوار
المستر » فان فان موى « تمى إثناء إزالتنا لبعض المحطات - هل
تعرفه ؟ »

« لا . لا أظن ذلك »

« إن زوجته من أقارب الجنرال هي »

« ما زلت غير فاهم »

« هل تعرف ما هذا ؟ »

ورفع مستر هنج شيئاً من الأرض يسمه عصاً منحنية .
الداخل أخذت تلمع عندما سلط عليها ضوء البطارية وقال :

١ - هل تعرف ما هذا ؟

فقلت :

- لا .

فقال :

« إنه أداة لصهر الحديد »

وكان يبدو على مستر هنج أنه من الأشخاص الذين يجدون
صعادة في إعطاه الأوامر . وتوقف مدة برهة لكي أظهر جهلي وقال :

- هل تعرف ماذا يعنى هذا ؟

فقلت :

- نعم بالطبع لكن لا أستطيع أن أتأكد فيما تهدف إليه .

فقال :

- إن هذه الآلة صنعت في الولايات المتحدة لشركة «ديولكتون» .

اسم تجارى أمريكى . هل بدأت تفهم ؟

- بصراحة ، لا .

- إن هذه الآلة فيها عيب . ولذا فخلصوا منها ، ولكن ماكان

يجب أن يتخلصوا منها مع المخلفات وكذلك بالنسبة للبراميل .
فلقد كانت هذه غلطة ولقد جاء مدير مستر موى هو نفسه وسأل
عنها . ولم استطع أن أعثر له على الآلة ولكنى تركته يأخذ البرميل
الثانى لأنى قلت له : إنه لا يوجد لدى سواه . وقال هو أنه محتاج
إليه ليطبخ فيه بعض « الكيماديات » وبالطبع لم يسأل عن الآلة
والأ كشف نفسه ولكنه بحث منها مدة طويلة ، ثم ذهب مستر موى
هو نفسه إلى المعوضة الأمريكية وسأل عن مستر بيل .
فقلت له :

« يبدو إن لك قلم مخابرات منظم »

برغم أنى لم أكن أعلم حتى تلك اللحظة ماذا يعنى هذا كله

وقال :

- لقد ظلت من مستر شو أن يتصل بمستر دومنحيو .
- هل تعنى أنك استطعت أن تثبت صلة بيل بالجنرال نى ، وهذا
لا يعد ذا أهمية بالأمم ليس جديداً والكل هنا يسعى وراء الاجبار .
وقام مستر هنج بضرب كعبه فى البرميل الأسود وسرى صوته
الصدى فى المخزن ثم قال :

- مستر فولر ، أنت انجليزى ومعنى ذلك أنك محايد وكنت
عادلا معنا وتستطيع أن تؤيد بطفلك أى الجانبين ترى أنه على
حق .

- إذا كنت تعنى أنك شيوعى أو من رجال الفيتنامية فلا تعلق
- فانا لم اذهل لانه ليس لى لون سياسى .

- لو حدث شيء غير سار هنا فى مايجون فسوف ننسبون
هذا العمل الينا - واللجنة التى اجمعها تريد منك ان تنتظر بـسـيـمـين
العمل الى ما يحدث ولهذا أريتك هذه الأشياء .
فقلت له :

- ماذا تعنى كلمة « ديوكون » ؟ انه يبدو لى أنها مأوكة لبن
محفوظ
قال :

- ان لها صلة باللبن المجفف .
واضاء بالبطارية داخل البرميل . فشاهدت مسحوقاً أبيض
على القاع وقال هنج :
- ان هذا هو البلاستيك الأمريكى .
فقلت :

- لقد سمعت شائعات تقول : ان بيل يسنورد البلاستيك من
الجبل لصبي الأطلال .
فقال هنج :

— انه لا يستورد من أجل اللعب »

فقلت :

— ان هذه الآلة تشبه العصا .

فقال :

— ان الشكل ليس غريبا .

— انا لا ارى فى أى شىء يمكن أن يستخدم »

فاستأجر المستر هنج وقال :

— انا أريد « فقط » ان تذكر ما رأيته . وربما فى مستقبل الأيام ستحون لديك فكرة لأن تكتب عما شاهدته هنا الليلة ، ولكن يجب الا تقول لاحد أنك شاهدت الهرميل فى هذا المكان .
فقلت له :

— وحتى هذه الآلة التى تشبه العصا .

فقال :

— وعلى الخصوص هذه الآلة .

وانه ليس من السهل على المرء أن يقابل لأول مرة الشخص الذى يقال انه احد حباتك . ولم أربل طوال المدة التى قضيتها فى المستشفى وكان لغيابه عني وصحته عن الاتصال بي اثره على . فطلما سعى ذاهب الى مكنتي متساقا للسلاكم ثم فلتحا للباب وذاهبا يوم فى حراشي وكنت غير محق فى تخيلاتي هذه . ولذا شعرت بارى من سوء ظني وكان شعوري بالذنب يصفى احتمالا ابى بدمى اسرائيل دسها كانه الخطاب الذي ارسلته الي زوجتي . وساءلت صوفي : انى اجتاز لي اورلوني هذا الاحساس بالذنب . . وقتها كانوا . خلتني من مل هذا التهور فى ايامهم الفاره عندما كانوا صائل معرزة تمثل وتنهج دور احاس ناي ذنب فى تلك العصور الاولى . وساءلت بصبي : هل ادعو مقلدي الى المشاء ؟ او الافضل ان ادعوه الى تناول كأس معى فى بار الكوكتنتنتل . . فلقد كانت مشكلة اجتماعية غير معتادة ، وربما قيمتها تستند من

الأهمية التي يملقها الإنسان على حياته وشغلتنى هذه المسألة . .
هل أعود إلى الطعام مع رغبة من السيد أو أكتفى بدعوته إلى
شرب عدة كؤوس من الويسكي ؟ ولقد حل هذه المشكلة بيل الذي
حضر وناداني من خلال الباب المغلق حيث كنت نائما خلال فترة
الظهيرة الحارة وقد أتعبتني المجهود الذي بذلته في الصباح لتعيرين
ساقى على السر ولم أسمع وهو يقرع الباب .

وسمعتني ينادي بصوت عال :

— توماس . . توماس .

وخل إلى أنني أسمع في ظم وأنه يحمل معنني إلا أنه
يناديني من برج محاصر وهو يصبح من الألم . واحد يسألي نائما
يخاطبني :

— توماس . . توماس .

فقلت له :

— اذهب بعيدا عنى بابل فلا أريد أن تتقننى . لا تقرب منى .

ثم سمعت قرعه على الباب وهو يقول :

— توماس . .

فمررتني ظلمات مستلقيا في فراشي كما لو كنت نائما في حقل
الأرز في تلك الليلة وهو العدو الذي يريد موتى . وفجأة شعرت
بأن القرع على الباب قد توقف وإن هناك شخصا يتكلم في عرس
في الخارج وأنا أكره الهمس « واعتبره » خطرا ولم أستطع أن أميز
المتكلمين وبهضت عن الفراش ببطء مستمعا بالصبا ووصلت إلى
باب العرفة التالية وربما سمع المتكلم حركتي فانقطع الكلام ولم
أحب هذا فسارمت بفتح الباب ، فشاهدت فوجعا واقعا في المر
وكان بيل واقعا وبداء على كتفها كأنما كانا متعاقبين وصحت قائلا

— تعال يا . . ادخلا .

فقال بيل :

— أنا لم أستطع أن أسمعك صوي .
فقلت :

— لقد كنت نائما في أول الأمر ، ثم انتبهت لـ الانفراد بنفسى
ولكن حيث أنك قد حضرت فادخل .

وقلت لقونج بالفرنسية :

— أين عثرت عليه ؟

فقلت :

— هنا في المر ، لقد سمعته وهو يقرع الباب فأسرعت لفتح له .

وقلت لبيل :

— اجلس . هل تريد قدحا من القهوة ؟

فقال :

— لا . وأنا لا أريد أن اجلس يا توماس .

فقلت :

— أما أنا فيجب أن اجلس فسأقضي نزلتي . هل تلقيت
خطاى ؟

— نعم . لقد تلقيناه وكنت أود ألا تكون قد كتبته .

فقلت :

— لماذا ؟

فقال :

— لأنه مجموعة من الأكاذيب ، لى كنت انتق ، فلك ما توماس .

فقلت له :

— يجب ألا تثق في أحد عندما تكون هناك امرأة في الموضوع

فقال :

— أدن يجب عليك ألا تثق في بعد الآن ، فسوف أحضر الى

هنا من خلف ظهرك عندما تخرج وسوف اكتب خطابات على الآلة
الكتابة . وربما اكون قد كبرت في السن يا توماس .

ولكن كانت هناك دموع في صوته وهذا لى انه اكثر شجاعة
من أى وقت مضى . وتابع يبل كلامه قائلاً :

— ألم تكن تستطيع أن تبيع بدون أن تكذب ؟
فقلت له :

— لا . ان هذه هي طريقة الأوربيين في مثل هذه المسائل .
وعلمنا أن سحاطة لقطة ما في أيدينا من مؤن . ولابد أنى كنت شجاعة
في كتابتي للخطاب . كيف تعرفت على الأكاذيب في خطابى ؟
فقال :

— أن السبب في ذلك يرجع الى أخت فونج . فانها تعمل مع
جو الآن وقد رابتها لتوى وهي تصور أنهم قد استعملوك الى
انجلترا .

فقلت :

— لقد فهمت . هل تعرفت فونج ؟

فقال :

— والخطاب الذى ورد من زوجتك . هل تعرف فونج عنه
شيئا ؟ فقد رآته اختها .

فقلت :

— كيف رآته ؟

فقال :

— لقد حضرت الى هنا لرؤية فونج عندما خرجت أنت امس
وقد قمت له لها فونج لقراءته وبالحاج لا نستطيع أن ندعها هي
تقر: الإنجليزية .

فقلت له :

— لقد فهمت .

ولم اجد سبيبا يدمولى الى ان انقضب من احد قائما الذى يجيب

أن يفض منه ، وفونج أعطت أختها الخطاب كنوع من الفضح
والاعتزاز ولم يكن ذلك دليلا على عدم ثقها . وقلت لفونج ؟
- هل عرفت ذلك كله الليلة الماضية ؟

فقلت :

- نعم . .

فقال : لها ؟

- لقد لاحظت عليك بالأمس أنك كنت صامتة ، ولكنك قمت

بقاضية متى ؟

فقلت لى :

- كان على أن أفكر .

وتذكرت اننى عندما استيقظت خلال الليل لاحظت عدم انتظام
تنفسها مما يدل على أنها غير نائمة ، ووضعت ذراعى حولها
وقلت لها :

- هل تحلمين ؟

حيث أنها كانت تصاب بالكابوس عندما جاءت لأول مرة لتقيم
معى فى شارع كاثينات ، ولكنها بالأمس هزت رأسها ولم تجب
وأدارت ظهرها ، وقال بيل :

- ألا تستطيع يا توماس أن تشرح لماذا كل هذه الأكاذيب ؟

فقلت له :

- بالطبع إن هذا واضح للعيان فانا أردت أن احتفظ بها

فقال :

- دون مراعاة «الاحياء» فى شيء ؟

فقلت :

- بالتأكيد .

فقال :

- أن هذا ليس هو الحبيب ؟

فقلت :

— ربما لم يكن هو الحب بالنسبة لك يا بيل —

قالت بيل :

— لقد أدركت أن أحبها —

فقلت له :

— ولكن لا أريد أن أحسبها في ليست في حاجة إلى حماية

وكل ما أريده هو أن أراها عني ،

فقال :

— ضد أرائها —

فقلت :

— أنها لن تبقى بدون أرائها —

فقال :

— أنها لن تشعر تحرك بالحب بعد ذلك —

وكانت أذكرك من «السلطة» إلى هذه الدرجة وأن ١٢

لكي أنظر إلى فونج فوجدت أنها قد دخلت غرفة اليوم ،

على السرير وأخذت تطالع في كتاب لوج مصور عن العالم المظلمة

وقلت لبيل :

— إن الحب كلمة غريبة ونحن نستعملها لكي نخطب بها

مشاعرنا الحسية نحو امرأة ما ، وهؤلاء القوم في هذه البلاد

لا يعتبرون المشاعر الحسية وأنت سوف تصاب بأذى إن لم تكن

حنونا يا بيل ،

فقال :

— أترى كنت مستعدا لفريقك لولا هذه الساعات المملة —

فقلت له :

— يجب أن تكون شاكرا لي وكذلك بالنسبة لأخت فونج ، إن

لك أخا غريبة . اليس كذلك وخاصة إذا كانت الأمور لا تتعلق

بالبلاتيك .

فقال :

— البلاستيك ؟

نقا : -

- ابي أرجو من الله ان تكون مبركا لما تفعله . انا اعلم ان
لوا فلك طيبة فهي دائما حسنة .

وبدا عليه انه متحيز ومبتكك ثم قال :

- اريد ان امنحه حياة شريفة ان هذا المكان يصبح براحة
الله الي .

فقلت له :

- نحن نقضى على الراحة بأعواد من الطيب نحرقها ، واعتقد
انك قد وعدتها بتلاجه وسياره وآخر طرار من أجهزة التلفزيون .
فقال :

- وكذلك الأطفال أما أنت فماذا سوف تقدم لها . ماتت نبي
تصحبها معك الى بلدك .

فقلت له :

- لا . لن اصحبها معي فانا لست قاسيا الى هذه الدرجة
الا اذا كان لدى الاستعداد لنحها تذكرة عودة .

فقال :

- اذن أنت تريد ان تبقيها كأداة للتسلية حتى تفادر هذه
البلاد .

فقلت له :

- انها مخلوق آدمي . . يا بيل ، وتستطيع ان تقر ما هو في
مصلحتها .

فقال :

- نر على أساس خاطيء . . وهي لا تعلم ان تكون طفلة . .
فقلت :

- انها ليست بطفلة . انها اكثر متانة منك ، هل تعرف هذا
النوع من الطلاء الذي لا محطس ، انه جويج . . انها تستطيع ان
تواجه حصه من امثالي ، وكل ما في الامر انها سود ، تقدم في
السن ، وسوف تعاني مناعب الولادة والجوع والبرد وآلام الروماتيزم .

ولكنها لن تعاني أبدا التفكير مثلما تفعل نحن القريبين ، وهي لن
تخفى بل كل ما في الأمر أنها مستوى .

وبينما كنت أتكلم كنت أقرب إليهم وهي تذاب صفة
التألولج وأسطح أن أضعه أنصوره ، هي ساعدها وهي صورة
العائلة المالكة ومعها الأميرة « أن » وكنت أعلم أني أخلق شخصية
غير موجودة بكلامي هذا مثلما يحاول بيل أن يخلق منيا واحدة «
الفرد لا يعرف الإنسان الآخر ، كلا النوع ، أستطيع أن أدله عنها
أنها مثلنا تماما وهي لم تمنح ميزة التعبر عن نفسها وهذا كل ما في
الامر ، وتذكرت السنة الأولى التي حاولت أن اتبعها خلالها شذية
سألته أن تقول لي قيم تفكر وقسمت في أزعاجها عندما غضبت
لأنها بسبب صحتها »

وقلت لبيل :

— لقد تكلمت ما فيه الكفاية ، عرفت كل ما يمكنك أن تعرفه »
أرجو أن تذهب .

فنادى : فونج « فرفت عليه :

— مسيو بيل .

وهي تنظر اليه وكان تعبيرها يدل على الثقة ومضحكا في
الوقت نفسه . وقال بيل :

— لقد خدمك .

فأجابته :

— أنا لا أنهم ما تقول .

وقلت له :

— اذهب . اذهب إلى قوتك الثالثة ويورث هارديج ومسئولية
الديمقراطية ، اذهب هنا لتطلب بالبلاستيك ،

وفيما يمد تحققت أنه نفذ كلامي هذا بهذا المعنى .



لم اني لم ار فيجو الا بعد موت بيل بأسبوعين ، اذ كنت سائرا
إلى «أرع» «شاربر» عندما سمعت صوته يتنادى من «الناسي»
وكان النادي هو المطعم المفضل لدى رجال البوليس الذين كانوا
يكنون من التحدي للولاء الذين يكرهونهم ، يتناولون الطعام والشراب
في الدور الأسفل على حين يجلس «الزباين» في الدور العلوي
بعيدا عن مساوئ القنابل اليدوية التي تلقى ، وانضمت اليه
وأمر لي بكاس من الفرمونت وقال :

— هيا الص على الكاس .

واخرجت الزهر من حبيى واخذنا نلعب لعبة واحد وثمانين
وفكرت كيف ان مرأى الزهر يعيد الى الإنسان ذكرى سنوات
الحرب في الهند الصينية ، وفي اى مكان في العالم عندما تشاهد
رجلين يلعبان بالزهر تعود إلى الذكرى الى هانوى أو سايجون
وسط المائي المحترية في «فات دم» وأرى رجال المراثيوت وهم
محميون مثل الحشرات بعلايقهم الفرية وهم يحرسون القنوات
وأسمع صوت عذافع المورنار ، وربما أتخيل منظر طفل قتيل .
وكان اللعبة ناجية حبة معروفة لكل رجال البوليس وربما
احترعها فيجو وأخذها عنه زملاؤه من الضباط الصغار فكل دور
يخسره اللاعب برمعه دوجة في وقتها الصمكرة حتى يصل الى
دسة الكائنات او القومندان ، ويربح فيجو الدور الثاني كذلك كما
وربح الاول وقال وهو بعد اعواء الثعالب :

— لقد عثرنا على كلب بيل .

قلت :

— نعم .

— أعقد ان الكلب رفض ان يترك الحشة ، وعلى كل فقد ذبحوه
أقلتد وجدناه على بعد خمسين ياردة ومن المفضل انه حمل نفسه
هذه المسافة .

فقلت :

— أمارلت مهتجا بهذه الحادثة ؟

فقال :

— ان الوزير الامريكى مازال يضايقنا ، ونحن لا نعلمى هذه المشاكل والحمد لله عندما يقتل رجل فرسى ، ولكنه مثل هذه الحوادث لا تجعل طليح النبله .

وأخذنا نلعب بتقسيم امواد الثقاب اولا ، ثم شرعنا فى اللعب الجدى وكان فيجو ماهرا فى رمياته فهو يقذف الزهر بسرعة لكن يسجل الرقم المطلوب ، واصبح لا يملك سوى ثلاثة امواد ثقاب .
أما انا فكنت ارمى اقل الارغام الممكن تجليها ودفع نحوى يعودن من الثقاب وعندما نظص من آخر حود ثقاب معه خاطسى قوله :
— كابتر .

ومضى ذلك اننى خسرت الدور وعلى ان ادفع بمن الثراب وناديت الساقى وقلت لفيجو :

— هل يهزمك فى هذه اللعبة احد ؟

فقال :

— ايمس دائما ، هل تريد ان تتقم ؟

فقلت :

— ليس الآن .. يسئل فى مرة قادمة .. انك لست لاجر ماهر يا فيجو .. هل نلعب لعبة اخرى بيها معلمة ؟

فابتسم فيجو بتعس . ولامر ما فكرت فى روجه الثعراء التى تصادق الضباط من مرموسيه ، قال فيجو :

— حسنا ، ان هناك اللعبة الكبرى .

فقلت له :

— اللعبة الكبرى .

فقال :

— دعنا نحسب المكسب والخسارة . انك لو كسبت فسوف تكسب كل شىء ولو خسرت فانك لا تخسر شيئا .

تذكرت احد اقوال الفيلسوف باسكال التي يقرم بقراءتها
فيجو .

- ان الرابع والخاسر في لعبة كلاهما مخطيء . فالطريق
التصحيح لا يحتمل القاسرة .
- فقال فيجو :

- نعم . ولكن عليك ان تقامر . فانت في حيالك ليس من
الضروري ان تتبع مثلك العليا ياغولي . فانت مرتبط بغيرك مثلنا
فقلت :

- انه ليس ارتباطا دينيا .

فقال :

- اتنى لا اقصد الدين بل كنت افكر في كلب بيل .
- ؟ .

- هل تذكر ما قلته لى عن ضرورة تحليل التربة في مثاليه
فقلت :

- يالك من رجل ذكى وانت تلمى التواضع .
قال :

- لقد توصلت الى اشياء لا بأس بها . لقد تعود بيل ان يصحح
كلية معه عندما يخرج اليس كذلك ؟

فقلت :

- اعتقد هذا .

قال :

- . لانه كان كلبا نعيما لم يكن ليتركه وحده .

فقلت :

- ان تركه وحده لم يكن من الحكمة .

وتناول فيجو الزهر ووضعه في جيبه فقلت له :

- ان الزهر زهوى يا فيجو .

- انا اسف . فقد كنت مشغولا بالتفكير .

- لماذا قلت : اتنى مرتبط ؟

— متى رأيت كلب بيل لأخر مرة يا قولي .
— الله وحده يعلم . فانا لا احتفظ بذكر أيدي مواعيد الكلاب
فيه .

فقال :

— متى تنوي أن تسافر إلى يافك ؟
— أنا لا أعرف بالتحديد . فانا لا أحب أن أعطر رجلا
الويلسي مملومات فان ذلك يوفر عليهم المتاعب .
— ألى أحب أن أمر عليك في بيتك حوالي الساعة العاشرة
إذا كنت بمفردك .

— سوف أرسل فونج إلى السينما .

— سوف تكون الحالة « عادية » معها مرة أخرى .
— نعم .

— غريب هذا . فانا كنت أعتقد أنك غير سعيد .
— من المؤكد ان هناك اسبابا كثيرة تسبب النقص يا فييجو وانت
أدري بذلك .

فقال :

— أنا .

قلت :

— نعم لأنك لست رجلا سعيدا .

قال :

— آه . ليس لدى ما أشعر به . فان متولا خيرا ليس بالمتزلز
التمس .

قلت :

— ما الذي تقوله ؟

— انه أحد أقوال باسكال مرة أخرى . انه نوع من الجمل
لكي تشمر بالكبرياء برقم يؤسلك .

— ان الشجرة لا يمكن أن تكون نعمة .

قلت :

ما الذى جعلك رجل بوليس يافيجو ؟

قال :

هناك عدة عوامل . فالحاجة الى كسب العيش . والاعتماد
بمعرفة احوال الناس وحس الفلسفة .

قلت :

ربما كان من الاصوب لو كنت قسيسا .

قال :

انا لم اقرا كتاب الملايين فى تلك الايام الخالية .

قلت :

امازلت تشبیه فى اليسر كذلك ؟ . فى ان لي صلة بمقتل

بيل .

فوقف على قدميه وشرب ما تبقى من قدير الغرغرة وقال :

اسى اريد ان اتكلم معك هذا كل ما لى الامر .

وخيل الى عندما اسدلو وتركنى انه نظر الى نظرة فيها معنى
اكما لو ان ينظر الى سجين مطلوب منه القبض عليه لتنفيذ حكم
بالسجن مدى الحياة .

وشعرت الى محل للعقاب . وكانما كان بيل عندما ترك بيتى
قد حكم على بالقلق لعدة اسابيع . فكل مرة اعود فيها الى المنزل كنت
الواقع المصائب . واحيانا كنت لا اجد فونج هناك . وكان من
المصعب على ان اقوم باى عمل حتى تعود من الخارج لاني كنت
دائما اتساءل : هل سوف تعود اولا ؟ . وعندما تاتي كنت اسألها
اين كانت ؟ وانا احاول ان احس اليلة والقلق من ندره صوي .
وكانت احيانا تحبني بانها كلفت في السوق او في بيتي الحال
ولامام لي ما شئت ذلك من البضائع التي اشتريتها او كنت قد
تذكره التي فيها التي دخالها واحيانا يكون عند احبها حبيب اعتقد
انها تالفت بيل .

وهي تلك الاما كس املها الحب بوحدة كما لو كنت اكرهها
ولكن الصعوبة هي اني كنت اكره المسجل وما قد يسمعه . فلقد

كانت الوحدة شريكة في كراش كل ليلة وفي كل ليلة كنت
أضم الرحلة الى صدي . برغم انهم لم تتغير . فلقد
كانت تطير لي . وكانت تطيع امرى ولكنى أصبحت
أبحث كما كنت في اول مغربي بها عن عقلها وأصبحت أريد ان
أفرا أفكارها ولكن أفكارها كانت محتفية وسط «لقة» لا يستطيع
ان اراها ولم أكن أريد ان اسنجريها فانا لا احب ان اراها تكذب
وكنت استطيع ان أدعى ان الأمور بيننا لم تتغير عادات لا تحدث
الكاذيب مقصوطة ، ولكن فجأة سيطر على قلبي ، وسألتها :

— متى رأيت بيل لآخر مرة ؟

فرددت في الجواب ، أو انها كانت تريد ان تسترجع ماحدث
وقالت :

— عندما حضر عينا ..

وقد جاء اسلوب . اداجم كل مائة امريكي ، وكان حادس معلوما
بمقد الادب الامريكي . . والسياسة الاسريكية والبطال الامر . . ين
وخيل الى اننا قد انتزع مني لـ «بولسما» فرد طر ان انابه . بها
قد اخذت لزوج منى . وأصبحت مجددا غير مرغوب فيه عن امريكا
حتى مع اصديقاتي الفرنسيين الذين كانوا يهتفون على آرائى . .
وخيل الى اننى قد خدعت ولكن الحقيقة لم تات الا من صديقى .

وفي ذلك الوقت حدثت الأحداث المروعة باسم قسائل
الدراجات فبينما كنت عائدا من بار الاميرال الى الشقة الحالية
وقد زوج قو ال سنما او مع اخوها وحدثت مذكرة مقدوسة من اسهل
الباب وكانت من «الوحنجيز» وكان يصلي فيها عن آله ما زال عريضا
ويطلب فيها منى ان اكون موجودا عند نائمة المحل الكم الذي
في شارع «شارنر» في حوالى العاشرة والنصف من صباح اليوم
التالى قال :

— ان هذا المارد بناء على طار المسر «شو» غير انى اشبهت
كم ان لآخر هنجو عو الذى طالب حضوري .

وكان الامر كله لا يحتمل اكثر من كتابا نصف عمود . وعمود

نصف فكاهى كذلك ، فالامر لم يكن يتعلق بالحرب المحزنة الثقيلة
الواقعة فى الشمال ولا بهذه القوات التى تزخر بالجيش الميتة فى
أرديتها القاتمة ولا بصوت قذائف المورتار ، ولا بالوهج الساطع
للقنابل النابالم ، وظللت مسطرا مدة ربع ساعة يجوار كشك لبيع
الزهور عندما مر «لورى» من لوريات البوليس وكان آتيا من ناحية
قيادة ادارة البوليس فى شارع كاتينات ونزل رجال البوليس عدوا
من السيارة واعتصموا المخزن كما لو كانوا يهجمون على مظاهرة
لتفريقها ولم يكن هناك مظاهر بل دراجات كثيرة ، بكل بناء فى
سايجون كان محاطا بالدراجات ولا يوجد فى أية جامعة فى الغرب
هذا العدد من الدراجات وقبل أن يكون لدى الوقت الكافى لاعداد
آلة التصوير كان المنظر الكافى غير الممكن تعميره قد انتهى .
فقد اقتحم رجال البوليس طريقهم بين الدراجات وخرجوا وقتلوا
أخذوا ثلاثة منها وقد حملوها فوق رؤوسهم وألقوها فى النافورة
التي فى الميدان وقتل أن تقدم لأسألهم عن الحادث كانوا قد عادوا
الى سياراتهم وساروا فى شارع بوتلرد ومسمعت صووتا نقول
«عملية الدراجات» وكار صوت مستر هنج وسأله :

— ما هى العملية ؟ هل هى تمرين ؟ ولماذا ؟

فقال هنج :

— انتظر فترة أخرى .

وأخذ بعض المسكين يقتربون من النافورة حشمت احدهم
العجلات فوق سطح الماء كأنها تحذير لهم ، وعبر أحد رجال
البوليس الشارع وهو يصيح ويحرك يديه وقلت لسر هنج :

— دعنا نلق نظرة .

فقال :

— بحسن بنا ألا نفعل ؟

ونظر فى ساعته وكاتب الساعة الحادية عشرة إلا اربع دقائق
وقلت :

— اترك مربع .

فقال :

— ان البرصة هي التي ترويح .
وفي اللحظة نفسها انفجرت النافورة فوق الطوار وطار
شظية من ، الرصيف ، وحطت زجاج . مع التوافق وضغط
الزجاج انشأت في الماء ولم يسب له يسر . ان الزجاج
المتناثر على ملاسنا ، وطار عطة احسدى الدرجات واحلت
تدور في الشارع ، ثم توقفت . قال هنج :

— لا بد انوا الحادية عشرة .

وقلت :

— ما الامر ؟

فقال هنج :

— لقد اعتقدت ان رؤية هذا المنظر بعمك .

فقلت له :

— تعال وتناول معي كاسا .

— لا . اني اسف يجب ان اعيد الى مستر شو ولكن دعني

لأريك شيئا .

وقادني الى موقف الدراجات حيث فك دراجه ودل :

— انظر بحاية .

فقلت :

— انها دراجة من نوع رالي .

— لا . انظر الى النفاج هل تذكر شيئا ؟

ثم اتسم باشفاق لعدم فهمي وركب دراجته وسار الى حال
سبيله واخفى عن نظري وجهه الى شارع شولون حيث
مخزن الهملات ، وصرت أنا الى مادة اليه ليس لأحصل على الأخبلة
ثم تذكرت ان الآلة التي شاهدتها في سحر الهملات كانت مشكلة
حتى تشبه نصف منفاخ للدراجة . وفي خلال ذلك اليوم في طول
سابعون وعرضها كانت الدراجات تسبح حيث حل محل المنفاخ
قنابل من البلاستيك ركب مكان الجزء « العادي » من كل منفاخ
وذلك في تمام الساعة الحادية عشرة وهو الميعاد المؤقت لانعجاس

القنابل .. ملعدا الدراجات التي تلقى البوليس عنها اقباء واشكاً
 أن مصدرها هو مستر هنج وكانت الانفجارات كلها «بسيطة» ..
 فقد حدثت عشرة انفجارات وجرح سبعة من الأهالي جروحا
 «بسيطة» ، وكان زملائي من الصحفيين عدا المراسلين من جريدة
 الشرق الأقصى الذين سموا الحادث باسم « ثورة غضب » يقولون
 انهم لا يستطيعون شغل حيز في جرائدهم لنشر الحادث بأكثر من
 «اعتبارهم» له شيئا ياعنا على المكاهة . وعنوان باسم « قابل
 الدراجات » مشير في الصحف ، وكان الجميع يلقون اللوم على
 الشيوعيين في الحادث ، وكنت أنا الوحيد الذي كتبت ان القاذ
 القابل كان نوعا من الاحتجاج من قبل الجنرال ثي ، وكان هذا
 مدعاة لاحتجاج ادارة الجريدة التي امثلها فالجنرال لي ليس مهما
 لدرجة الكتانة عنه وارسلت رسالة اعتذر الي المستر هنج عن
 طريق «ومحيز فلقد بدلب كل جهدي ورد على مستر هنج ردا
 مؤدبا وكنت لم اذكر اطلاقا لبيل علمي بعلاقته بالجنرال ثي ، فلقد
 قلت لنفسى : دمه يلبس بالباسك الذي يستورده قريبا شغل
 ذلك ذهنه عن فونج وعلى كل فقد مررت على جراج المسنر موز
 لاني وجدت نفسى قريبا عنه .

وكان المكان صحيرا وغير منظم ، ورابت سيطرة في وسط
 السكان وغطاؤها مرفوع كأنها حيوان فائح فمه في احد متاحف
 الناريح الطمعي ، وكانت الأرض مغطاة بقطع خدبة من الحديد
 والصاديق القديمة ، فأهالي ميتام لا يلقون بشيء من المهملات
 مثلهم في ذلك مثل الصينيين الذين يستطيعون أن يظهروا نطة
 واحدة بسمة أشكال مختلفة بدون ان يلقوا حتى يرحل واحدة
 منها . وتصححت كيف يمكن ان تلقى هؤلاء بالراميل وقطع الحديد
 القديمة حتى يصل الى مخزن مستر هنج ، وربما سرقها احد
 الموظفين لسعها بعروش قليلة ، او ربما رشها هنج احد هؤلاء
 الموظفين ليحضره له . ولم ار احدا في المكان لدخله ، وربما
 اتعدوا من الحراج فترة خروفا من حضور رجال البوليس ، ومن
 المحتمل ان يكون المسنر هنج اتصالات بادارة البوليس ولكن
 حتى لو كان صحيحا فمن المستبعد أن البوليس سوف يعتم ويقوم

بصم ، فمن وجهة نظرهم يرون أن يترك الأعمالي يتمسكون ان
القابل كانت من فعل الشيوعيين ، وما عدا السيارة والمخلفات
القديمة من الحديد لم يكن هناك مايرى على الأرض المصنوعة من
الاسمنت وكان من الصعب التكهن بأن القنابل قد صنعت في جراج
المستر موى ، ولم أكن متأكدا كيف يتيسر لانسان ان يحول
المسحوق الأبيض الذي رأيته في البراميل عند المستر هنج الى
بلاستيك ولكن من المؤكد أن طريقة تحويله الى بلاستيك كانت
معقدة الى درجة لا يمكن معها تحويله الى بلاستيك في هذا المكان .
وحتى « طلمبتي » البترين اللتين في الشارع أمام المحل كانتا تشكوآن
الإهمال . ووقعت في المحل ونظرت الى الشارع ورأيت تحت
الأشجار في وسط الشارع الحلاقين يمارسون عملهم .
وشاهدت قطعة من مرآة مثبتة في أحد الأشجار تعكس ضوء
الشمس ومرت بي فتاة مرتدية قفحة واسعة وتحمل على كتفها
« ميتين » تبتا في عمود وهي تسير مسرعة وكان قاري المستقبل
في الشارع قد وجد « زبوناً » وهو رجل عجوز له ذقن أخذ ينظر
بهدير نافذ الى قاري الطالع وهو يقف بين يديه أوراق اللسان التي
يقرأ فيها الطالع . وتساءلت : أي مستقبل في عالم الغيب ثمن
الإطلاع عليه قرش صاغ ؟

والحياة في شارع المسوم حياة مكشوفة . فكل فرد هنا يعرف
المستر موى ولكن رجال البوليس لم يكن لديهم المفتاح الذي يجعلهم
يولونه تقنم وكان هذا هو مستوى الحياة حيث يعرف كل سر من
الأسرار . ولكن لم يكن في مقدورك النزول الى هذا المستوى كما
يسهل عليك ان تنزل الى الشارع . وتذكرت النسوة العجائز اللاتي
يترنرن أمام منزلي فهن كذلك يعرفن عن كل شيء ولكنني لا أعرف
ماذا يعملن .

ودخلت ثاية الجراج حيث قصدت مكتبا صغيرا في نهايته «
وهناك وجدت النتيجة السنوية الصينية «العادية» . كما شاهدت
مكتبا عليه اوران مهمة وقائمة بالأسـمـعـلـر وزجاجة من الصمغ
و « ماكينة » جمع أرقام وديابيس للورق وانه لصنع الشاي وثلاثة

فناجين وعديداً من الأفلام غير المبرية وصورة غير مكتوب عليها ليرج ابغيل . وكان هناك باب معلق في مؤخرة حجرة المكتب غير أن المتاح كان موجوداً على المكتب بين الأفلام ففتحت الباب ودخلت فوجدت، نفسى فى سقيفة فى حجم الجراج وكانت تحسوى على قطعة واحدة من الآلات بدت لأول وهلة أنها كقصص من الأسلاك والمعصى المتشايفة وبدخلها « تعاليق » كأنما هى ففص امد لطائر غير ذى جناحين . وخيل الى أنها مربوطة بقطعة قديمة من الثياب وكان يبدو أن الأشرطة القديمة قد استخدمها المستر موى فلذلك فى التنظيف ووجدت على الأشرطة اسم صانعها فى مدينة آسور وأرقاما سلسلة عليها ولا أعرف معنى الرقم السلسل وأدوت البيار الكهربى وقت الحياء فى « الماكينة » القديمة وكانت المعصى المركبة فى الآلة لها فرس . وهى أشبه برجل محوور يسحجم كل قواه الباعية ليصرب بها معصمه الى أسفل ويدت لى كأنها آلة للضغط أو للطباعة وفى الهند الصينية حيث لا « يعتبر » شئ غير ذى منفعة برغم مرور سنوات وسنوات على اختراعه فإن هذه الآلة القديمة التى عفا عليها الزمن كانت لا تزال مسهولة . ونظرت الى الآلة بدقة فوجدت بها جهايا مسحق ابيص . وفكرت فى « دولكتون » وشئ قريب الشبه من اللبن ولم يكن هنالك فى المكان اى برميل أو عصى .

وعدت ثانية الى حجرة المكتب والجراج وأحسنت يرغيتى فى دعاية المسود القديمة بالرب عليها . فأمامها مدة كبيرة تنظرها ولكن فى يوم ما سوف تستخدم فى صنع شئ . أما المستر موى ومناووه فهم الآن فى مكان ما وسط حة...ول، الأرض متجهون الى النجبال المقعدة حيث يوجد مركز قيادة الجسورال «لئى» وتحملت أننى بعيد عن الجراج فى مكان ما وسط حصون الأرض حيث النجات الى الرج فر، تلك الليلة وأننى انادى مستر موى الذى أدار رأسه الى من وسط « سنابل » الأرض .

وعدت سيرا الى المنزل حيث وجدت النسوة المعجائز اللاني هاكلن يريننى حتى أخلن فى ثورتهم المعتادة التى لا انهم لها

مضى جمعة ثم يوم لثورة الطيور ولم تكن فوقج بالمنزل بل وحدث
 مذكره سم يقول أنها ذهبت عند أخيها وتمددت على السرير
 فكنت لا أزال أشعر بالتعب بسرعة منذ جرحى فى تلك الليلة فى
 البرج وعندما استمطقت وجدت ساحتى تشير الى الواحدة وخمس
 وعشرين دقيقة وادرت رأسى متوقفا ان أجد فونج نائمة ولكن
 الوصادة كتب خالية ولا بد أنها غيرت غطاء المخدة فى هذا اليوم
 حيث ان يرودة « الفسيل » كانت لا تزال ظاهرة عليه وقعت
 وتوجهت الى المدرج الذى تضع فيه « الإبلويات » الخاصة بها
 فلم أجد لها . وتوجهت ناحية روى المكتب فلم أجد صورة العائلة
 المالكة البريطانية كذلك فلقد أخذت مهرها معها . وفى لحظات
 الصدمة يكون هناك ألم قليل . فلقد بدأ الألم حوالى الساعة الثالثة
 عندما شرعت أرسم خطوط الحياة الجديدة التى على أن أحيائها
 واستعيد ذكريات الماضى استعدادا لمحوها . وحاولت استمادة
 الذكريات غير السعيدة فلقد كنت متمرها ولقد مرت بى هذه
 التجربة من قبل وأعرف ماذا يجب أن أفعله ولكنى كنت أكثر
 تقدما فى السن وأحسب أنه ليس لدى النشاط الكافى لإعادة
 البناء من جديد .

وتوجهت الى المفوضية الأمريكية وسألت عن بيل وكان من
 الضرورى أن املا استمارة على الباب وأقدمها لرجل البوليس
 الحرس . الذى قال لى :

— أنت لم تكتب صيب الزيارة .

فقلت له :

— انه يعرف .

فقال :

— هل جلدك ميعانا من قبل .

فقلت :

— تستطيع أن تقول ذلك لو أحببت .

فقال :

— ان هذا يبدو لك مخيفاً ولكن علينا أن نكون في مشرق
المحدر فكثير من الأشخاص السود يحضرون الى هنا .
فقلت :

— لقد سمعت ذلك .

فحرك «البنت» التي يمشيها الى الناحية الأخرى من قهوه وول
المصدر وانتظرت ولم يكن لدى فكرة عما سأقوله لبيل . فهذا
لم اقم به من قبل وعاد رجل البوليس وقال :
— اعتقد انه يمكنك الصعود الى الغرفة ١٢ الدور الأول .

وعندما دخلت الغرفة رأيت ان بيل لم يكن موجوداً . وكلا
جو جالساً خلف المكتب وهو هو المحقق الاقتصادي . ولم أستطع
تذكر اسمه الأول . . وأخلفت أخت فونج ترقبني من خلف «الماكينة»
كتابة . وسالت نفسي : هل هذه النظرة التي تحدجني بها هي نظر
الانسان ؟

وقال جو :

— تعال . تعال يا توم . . اتنى مسرور لرؤيتك كيف
عالم سابق ؟ ونحن لم تعود زيارتك لنا في مكتبنا المتواضع . خلا
كرمياً وقل لي : ما هو رأيك في سير الهجوم الجديد على القوات
الثائرة ؟ ولقد رأيت جيرانجر في الكونغرس الباردة وقد سأل
الى الشمال مرة أخرى ان هذا الولد مهم بمعله . ما هي الشائعات
في البلد يا توم . فأنتم معشر الصحفيين تجعلون أذانكم مفتوحة
لكل شيء . آسف بخصوص سابقك . فلقد قال لي ألدين .
فقلت :

— ان بيل ؟

قال :

— انه ليس في المكتب هذا الصباح . واعتقد انه في منزله
فهو يقوم بعمل كثير في منزله .
— اتا اعرف أي عمل يقوم به في منزله .
— انه ولد « كفاء » — ماذا تقول ؟
فقلت :

- هللى اى حال ، انا اعرف شيئا مما يقوم به كلى منزلة .
قال :
- انا لا افهم يا توم ، فانا جو البطيء - وهذا هو طبعى .
ودائما كنت هكذا وسوف اظل هكذا .
قلت :
- انه مع صديقتى ، اخت التابست التى تعمل لديك .
قال :
- انا لا اعرف مللا تقصد .
فقلت وانا اومى الى اختها :
- اسألها ، لقد ربيت هى ذلك ، لقد اخذت منى بيل صديقتى .
فقال :
- اسمع يا فولر ، لقد ظننت انك قدمت من اجل عمل ، وانته
لعلام انه لا يمكننا الكلام فى مثل هذا فى المكتب .
قلت :
- لقد جئت لقابلة بيل واعتقد انه مختبىء .
قال :
- انت آخر رجل يمكن ان يقول هذا عن بيل بعد ما قتله من
أجلك .
قلت :
- آه ، طمعا طمعا ، لقد اتقد حياتى ، اليس كذلك . ولكننى
لم اسأله قط ذلك .
قال :
- اتقد اتقد حياتك مع تمرير حياتك للخطر ، فان لهذا الشايع
قوة ، حقا .
فقلت :
- انت لا اهتم بقوته الممونة .
قال :
- ان علينا ان نؤدى عملنا . وهناك تقرير عن انتاج المطاط .
قلت :

- لا تطلق ، قل اذا ذاهب . ولكن قل ليبل اذا خاطبك بالتليفون
اننى قد جئت وقد يظن انه من الادب ان يرد لى الزيارة .
ثم قلت لاخت فونج :-

- ارجو ان تكونى قد احضرت شهودا لحضور التسوية النهائية
لوصوع اختك واحسب انك احضرت القنصل الأمريكى ومندوبين
الكنيسة لكي يشهدوا على انصامها لبيبل .

وخرجت الى الممر ووجدت بابا مكتوبا عليه «الرجال» فدخلت
واخلقت على نفسى الباب واستندت راسى الى الحائط البارد واخذت
أبكي . ولم يكن قد سبق لى أن بكيت قبل الآن . وحتى «دورات
المياه» عند الأمريكين كانت مكبة الهواء . وسرعان ما جفف الهواء
المكيف الدموع فى عيني كما جفت الفصصة فى فمى والألم فى
جسدى .

وتركت الامور فى يد «دومنجيز» ورحت الى الشمال . ففى
مدينة هالسبونج كان لى اصدقاء فى سرب الطيران «ماسكوى»
وكننت اقضى ساعات فى بار المطار او المعب لمبة «فونج» على
الحشيش الأخضر فى الخارج ورسميا فاننى كنت مقيما فى الجهة
وبذلك كنت على قدم المساواة مع جرانجر ولكن وجودى فى الشمال
لم يكن ذا فائدة تذكر ليجريدى مثلما حدث فى «قات ديم» ولكن
اذا تعرض المرء للكتابة من الحرف فان احترام النفس يتطلب أن
يشارك بين حين وآخر فى اخطارها ولم يكن الأمرهلا فى المشاركة
فى اخطار الحرب . فقد جاءت الاوامر من هانوى بالآ اصحب
الطيارين فى غاراتهم الا اذا كاس غارات افقية تكون فيها الطائرة
فوق مرمى المدافع الرشاشة . وهى رحلة لاتمردو انه
تكمون رحلة بالابوييس فى ملامتها وامنها هذا ما قد
يصيب الطائرة من خطأ فى القصاد او اصابة الماكينة
يعطى كذا نظير على حسب جدول معين ويعود على
حسب جدول معين . لما حمولة الطائرة من القنابل فكانت تلقى من
الارتفاع الشاقق على احد «الكبرى» او المستودعات وتتصاعد
اعنده الدخان ثم يعود فى الممره يقفه لتناول فالحات «الشهية»

قبل تناول الطعام وفى صبيحة أحد الأيام كنا فى مبنى الضباط
فى البلدة وكنت أتناول البراندى مع الصودا بصحبة ضابط شاب
كان يرقب رغبة شديدة فى زيارة البلدة عندما جاءت الأوامر
بالقيام بطائرة وسألنى :

— هل تحب أن تأتى معى ؟

فقلت :

— نعم .

فحتى الفارات الأفعية كانت وسيلة لقتل الوقت وقتل الأفكار .
وبينما كنا متجهين إلى المطار فى سيارة عال لى :

— أن هذه غارة رأسية .

فقلت له :

— كنت أظن أننى ممنوع من المصاحبة فى الفارات الرامية .

قال :

— لا بأس . مادمت لا تكتب شيئا عنها . وسوف يمشك فى

هذه الغارة رؤية جزء من البلاد مجاور للصين لم تره قبل ذلك .

فقلت :

— لقد كنت أعتقد أن الأمور هادئة فى هذا الجزء من البلاد

وأن العرسيين مسيطرون هناك سيطرة تامة .

فقال :

— لقد كان هذا فيما مضى . لقد احتل الفيتناميون هذا المكان

مئذ يومين ورجال البارشوتات السهرون لنا على بعد عدة ساعات من

المكان ونحن نريد أن يعز الفيتناميون محبس حتى نسر لرجال

البارشوتات إعادة احتلال الموانع . وهذا حتى الهجوم الماوس

والضرب بالمدايع الرشاشة . ونحن لسر لدينا سوى طائرتين للقيام

بالمهمة . هل شاهدت القذائف الماوس قبل ذلك ؟

فقلت له :

— لا .

قال :

- أنها عملية قهر مريحة إذا لم تكن قد تمودها .
 وكان سرب « ماسكوني » لا يملك إلا طائرات قاذفة صغيرة من
 طراز ب ٢٦ - وكان الفرنسيون يطلقون عليها اسم « العاهرة »
 وذلك لتصر أجنتها وعدم وجود معين مرئي لها في طيرانها .
 وركبت الطائرة خلف الملاح فوق كرسي لا يزيد على كرسي اللواجة
 وركبتى ملتصقة بظهر ملاح الطائرة وصعدت بنا الطائرة ببطء فوق
 النهر الأحمر - وكان النهر الأحمر في هذه الساعة لونه أحمر
 قهلا . ونظرنا إلى النهر كما سبق أن نظر إليه مستكشفه الأول من
 مئات السنين في وقت الشفق وقد خضبت الشمس الماء بين
 الضفتين بلونها الشبيه بلون الدم - وعلى ارتفاع تسعة آلاف قدم
 تحوالت ناحية النهر الأسود . وكان قهلا لونه أسود معلوم بالظلال
 وكان منظره جليلا عظيما وقد أحاطت به اللال والفلات والهوى .
 ولو استطنا فصيلة من الرجال في هذا الفضاء الشاسع لكنا
 كمن استط بضعة قروش وسط حق واسع ورأينا أمامنا طائرة
 صفيرة . وحلقنا مرتين حول أحد الأبراج للحراسة وحول القرية
 الخضراء - واستدار إلى الطيار وعمر بعينه . وكان اسمه « ترون »
 وأمامه في عجلة قيادة الطائرة كانت توجد الأذرار التي تطلق المدافع
 الرشاشة وتقاذف القنابل وأحسست بأحشائي تتقلب داخل بطني
 ونحن نتخذ مركزنا لبدء القذف الفاطس وهو الإحساس نفسه الذي
 يخامر المرء عند أول خطوة يتعلمها في الرقص أو في أول مائدة عشاء
 يحضرها لأول حب يتغربه قلبه وتذكرت يوم المسابق الكبير في ورجلي
 عندما لا يكون هناك فائدة من التراجع وتحس بأنك موكل
 بخبرتك . واستطعت أن أقرأ على مؤشر الارتفاع أننا على ارتفاع
 ثلاثة آلاف متر عندما بدأنا الانقضاض وأصبحت كل أعصابنا
 مشدودة والتصفت بظهر الملاح نتيجة لانقضاض الطائرة وأحسست
 إكأن شيئا ثقيلا جدا يضغط على صدري . ولم أنه إلى القنابل
 وهي تقذف أو إلى صوت المدافع الرشاشة وهي تطلق من الطائرة
 إلى الأرض وامتلأت الطائرة برائحة البارود وانزاح الضغط من
 أفوق صدري عندما أخذنا في الارتفاع ثانية . وشعرت كأن مفتي
 لقد سقطت من ناحية الأرض . وليلة أربعين ثانية انتهت ذكرى

يلت من خاطري وحتى شعوري بالوحدة لم بعد موحودا ٢٠
وشاهدت الدخان ينبعث من الحرائق التي شب سبجه للدمع
من السافة الجانبية للطائرة ونحن نرتفع في هيئة قوس وقبل ان
نبدأ الانقضاض للمرة الثانية شعرت بالخوف من ظهوري بمظهر
الخائف والخوف من ان يصيبني الفتيان فالظف ما في احشائي
على ظهر الملاح ، والخوف من الا تحمل رثنائي الضعيفتان من
الكبر كل هذا الضغط عليهما . وبعد الانقضاض العاشر كان كل
ما اشعر به هو الضيق من ان المسألة قد طالت أكثر مما يجب وأنه
الوقت قد حان لنعود من المهمة . ومرة أخرى هربت الطائرة من
فيران المدافع الرشاشة وارتفعت أعمدة الدخان وكانت القرية التي
تقدفها محاطة بالجبال من كل ناحية وكان علينا في كل مرة نصرها
ان نقرب من خلال فترة معينة في هذه الجبال . ولم يكن أمامنا
طريق آخر لتغير زاوية هجومنا . وعندما قمنا بالانقضاض الرابع
عشر شعرت بانى قد تحلصت من الخوف من الظهور بمظهر
الضعفاء . وتكررت في أن كل ما عليهم لكي يصيروا هو وضع
مدفع ليعطى هذه الثغرة التي نهجمهم منها ، وربما لم يكن لديهم
مدافع كافية . وانتهينا من القذف الذي استغرق أربعين دقيقة
كنت حلاليها حرا من افكاري الخاصة وكانت الشمس قد غربت
عندما استقرنا عائدين الى القاعدة ولم يعد البور الأسود أسود
في لونه وتحول لون النهر الأحمر الى لون الذهب ثم انقضت
الطائرة مرة أخرى ناحية النهر وهي تكاد تزحف فوق حقل الأرز
وقد اتجهت مقلبتها كما تتجه الرصاصة المنطلقة ناحية زورق في
الماء وانطلق المدفع مرة واحدة وتناثرت أشلاء الزورق الممزقة ولم
تنتظر انى ترى سحابتنا يصارعون الماء في سبيل النجاة بل ارتفعت
بنا الطائرة لنعود الى القاعدة وحل بين الشعور نفسه الذي حل بيني
عندما رايت الحث تملأ الماء في « فات دم » وقلب لنفسي : « انى
أكره الحرف » فلقد كان هجومنا على الزورق مرعا . فقد كنا
مارين فحسب في طريق العودة وفجأة طائفة واحدة من المدفع
وأصبح الزورق في خير كان . ولم يكن هناك من « علينا النيران
وتركناهم يصارعون الموت من قبل منهم وأضفنا الى القتلى في هذا

اليوم حصننا منهم ووشعت الميكردقون على اثنى وقال لى الكاتب
« ترون » :

« سوف تقوم بجولة صغيرة فان منظر شمس الغيب رائعة
على الحقول ويجب ألا تفوتك » .

وقال ذلك بمطف كما لو كان مضيقا يريد أن يطلق ضيقه على
إجمال صيغته . وطريا مسافة مائة ميل تتبع الشمس فى غروبها » .

وفى مهنته فان الراحة بالنسبة له لا تذهب الى أبعد من
ذلك الذهاب الى حان للشرب . واستلقينا كل منا فى حجرة
صغيرة متحفظة الجدار وسط صف من الحجرات المائلة ولم تكن
حجرة بالمعنى المفهوم بل مكان على قدر اضطجاع المرء . به
حائطان لا يزيد كل منهما على ثلاثين سنتيمتر وأعد صاحب المحل
الصينى الشراب . ولم أكن قد شربت منذ تركتنى فونج . وعلى
مقربة منا كان هناك امرأة ذات ساقين طويلتين رائعتين ، كأنهما
لوحة من لوحات ماتيس قد انتهت من الشراب وراحت تطلع من
محلها مسوية وقد جمعت ساقها على صدرها وكان بجوارها رحلان
صينيان فى منتصف العمر يتناولان الشاي يتناقشان فى شئون
العمل وبجوارهما كئوس الشراب التى انتهيا منها وقلت « لترون » :
« هذا الزورق .. هل كان هناك ما يبور ضربه ؟ » .

فقال ترون :

« من يدري .. فى هذا المكان من النهر لدينا تعليمات بضرب
بكل ما يراه » .

وشربت أول كأس . وقال « ترون » :

« أن ما حدث اليوم ليس أسوأ ما حدث لى ففوق القرية كان
من الممكن أن يسقطوا . وكان الخطر بالنسبة لنا كالخطر بالنسبة
لهم والذى لا أقبله هو القذف بقبايل السبابالم من ارتفاع ٢٠٠٠ قدم
ونحن آمنون فى أثناء القذف . هل رأيت الغابة وهى تحترق ؟ » .

الله وحده يعلم ما الذى يمكن أن نراه من فوق الأرض . قالوا له :
نحرقهم القنابل احياء وقنابل النابالم يسرى لهيبتها كما يسرى
الكس .

قلت له :

— وهذا الزورق ؟

قال :

— نعم هذا الزورق كذلك .

واخذ يرفقنى وأنا أمد يدى لأتناول الكأس . وقال :

— أنا أحصدك على مسائك للهرب من الحقيقة .

انقضت له :

— أنت لا تعلم ماذا أحاول أن أهرب منه . انها ليست الحرب [

هى لا تهمنى فى شيء وأنا فى مشررك فيها .

— سوف نشاركون فيها جميعا فى يوم ما .

قلت :

— ليس أنا .

فقال :

— أنت ما زلت تهرج .

قلت :

— ان لهم الحق فى اطلاق الرصاص على . ولكنهم لم يقولوا

يقولون ذلك بل كانوا يهدمون برجاً للحراسة . وعلى المسرة أنا

يتجنب فصال الهدم حتى ولو كانوا يعملون فى ميدان بيكاديلى .

— يوما ما سوف يحدث شيء وتنضم الى أحد الجانبين .

— لا . . فانا عائد الى انجلترا .

فقال :

— فسيب هذه الصورة التي أرثني أياها مرة ١ .

— لا . . لقد مزقت هذه الصورة . فلقد ترتنتني صاحبها .

لقال :

— أنا آسف .

قلت :

— هكذا تحدث الأشقاء . فلما سار معك الناس أحيانا ، ثم
يتحول التيار فيسركونه هم . ونرى ربي ، هذا يجعلني سعيد في
المعالة .

لقال :

— إن ذلك . ففي أول مرة أسقطت فيها قنابل التناابل لم
أفكر في ن هذه القرية التي ولدت فيها . وهل القرية التي يعيش
أقربا عسيو « دبوا » صديق أبي ؟ وكذلك الخلف . فقد كنت
أفعلوا جدا بحاز القرية وهو الآن بعدو وسط لهيب نيران القنابل
التي القيناها . إن رجال حكومة فيشي لم يضربوا بلادهم بالقنابل
ولكنني أشعر بأنني أسوأ حالا منهم .

قلت :

— ومع ذلك فانت تواصل حملك الذي تكرهه .

لقال :

— إن ما أشعر به أن هي الا حالات عارضة فلما استخدم
التناابل . وبماي الوقت أشعر بأنني اداغم عن أوروبا . وانت لا تشعر
بأن رجال الحائث الآخر يفعلون أفعالا في الدرجة نفسها من
الشدة . وعندما تراجعوا عن هانوى سنة ١٩٤٦ لقد عاقبوا المئات
من أبناء جلدتهم الذين ظنوا أنهم قد عاونونا .

قلت :

— سبب هذا فانا لا أريد أن أشارك في هذه الحرب .

فقال :

— ان المسألة ليست مسألة عقل أو طائلة . فنحن جميعا
نشارك فى الأمر . تحت ظروف عاطفية معينة ثم نجد أنفسنا غير
قادرين على الخلاص والحرب والعجب منذ القدم تعددهما متقاربين .
ونظر بحرن الى حيث ترقد المرأة التى تبسو كلوحة من لوحات
ماتيس . وقال :

.. أنا لا أريد أن يتعمر الأمر مما هو عليه . فهذه فتاة أمرها
أصبحت مشتركة فى الأمر بسبب والديها فالأم من أهل — بلاد
والأب فرنسى . وما الذى يحمله المستقبل لها عندما تخطو المياه
فى أبهى العدو . أن فرنسا ليست إلا نصف وطن لها .

فألتته :

— وهل سيمس — .

— انك صحى .. وانت تعرف أكثر منى أننا لن نستطيع أن
نقوز وأنت تعلم أن الطريق الى هانوى يقطع كل ليلة وتزرع فيه
الأمم . وانت تعلم أننا نفقد فى كل سنة دفعة كاملة من خريجي
كلية سان سر .

وكنا قد أوشكنا أن نهزم سنة ١٩٥٠ — ولقد أمكن الجنرال
دى لاتراسينى أن يمنحنا سنتين من الفخر . ذلك كل فى
الأمر . علينا أن نواصل القتال حتى نعلمنا السياسيون بالتوقف .
ومن المحتمل أن يتفقوا على الأسس التى كان من الممكن أن يتفقوا
عليها فى « البداية » جعلين من كل هذه السنوات عشا لا طائل
لحته .

وكان وجهه القبح الذى همز لى به قل انقضاؤه على هدفه
بحمل نوعا من شدة المحترف كانه قناع من اقنعة عند الميلاد حيث
يبدو عبثا الطفل من خلال ثوب فيه .

وقال :

— أنت لا تستطيع أن تفهم هذا العبث ياغور لامك ليست
واحد منا .

قلت :

— ان هناك اشياء اخرى في حياة الانسان تجعل من السنوات
ومرورها عبثا لا طائل وراءه .

فوضع يده على ركبتي بنوع من العطف والحماية كأنما هي
الأكبر منا وقال :

— خذها معك الى الوطن .

الفصل الخامس

لقد كان الأمر غريباً هناك هودنى الى سايجون دون أن يكون أحد في انتظارى وفي المطار تمنيت لو أن هناك مكاناً آخر اطلب من التاكسى أن يوصلنى اليه غير سكنى فى شارع كايئات . وقلت لنفسى : « هل الى أصبح أقل مما كان عليه قبل رحيلى ؟ » . وحاولت أن اجعل نفسى تمتد ذلك . وعندما وصلت الى المنزل لاحظت أن الباب مفتوح وملاً نفسى شعور بالأمل الكاذب وحنى أصل من الباب كلن من الممكن أن يظل الأمر حياً . وسععت صوت كرمى يتحرك وعندما وصلت الى الباب رأيت زوجاً من الاحذية لغير امرأة ودخلت بسرعة وكان هو « بيل » الذى رفع جسمه الضخم من فوق الكرسي الذى اعتادت قونج أن تجلس فيه وقال :

— هالو . توماس .

— هالو بيل . . كيف فعلت هنا ؟ »

فقال :

— لقد قابلت دومنجير الذى كان آتياً بهربك وطلبت منه أن

يتركنى انتظر .

— هل نسيت قونج شيئاً .

— لا . . ولكن جو قال لى انك ذهبت الى المفوضية وفكرت

فى أنه أسهل أن تتكلم هنا .

قلت :

— نتكلم عن ملاء .

فما عليه انه قد فقد تذكره كصلى طلب منه أن نتكلم فى احتفال فى المدرسة فبعد القلوة على تخير الكلام اللاتى . ثم مال :

« لقد كنت مسافرا »

« نعم ، وانت .

« آه . . أتى كنت أثقل هنا وهناك »

« لما زلت لعب بالبلاتك ؟ »

« قاتسم اجتماعا خير سعيدة وقال :

« ان خطابك موجودة هنا .

وكنت استطيع ان اوى من اول نظرة انه ليس هناك شيء يثير اهتمامى فخطاب من الجريدة فى لندن وخطابات يبدو أنها مطالبات بسداد ديون على . وخطاب آخر من المصرف الذى اتعامل معه . وقلت لييل :

« كيف حال فونج ؟ »

« فقال :

« آوه . . انها بخير »

وخم شفتيه كما لو كان قد تكلم أكثر مما يجب . وقلت له :

« اجلس يا لييل واسمع لى بان أنظر فى البريد فهذا الخطاب من ادارة الجريدة .

فتحت الخطاب وكان من رئيس التحرير ويقول :

انه راعى ما جاء فى خطابى الأخير وبالنسبة لتأزم الموقفه ولعقده فى الهند الصينية بعد موت الجنرال دى لائر وتراجع القوات الفرنسية من « هوايه » فانه يتفق معى فى اقتراحاتى وانه قد عين محررا للشئون الخارجية بالجريدة بصفة مؤقتة وانه يوافق على بقاى فى الهند الصينية مدة عام على الأقل .

وقال لى خطابيه :

« سوف يبقى مقعد المحرر الخارجى دائما فى انتظارك » .

وكان يستعد اننى اهتم بالوظيفة التى عرضها على بالجريدة فجلست امام لييل وقرأت الخطاب مرة أخرى الذى وصل متأخرا

يمض الشيء . ولفترة وجيزة كان لدى شعور من استيقظ لثوره
قبل أن يذكر الأحداث . وقال بيل :

— هل الأخير سيئة ؟

— لا .

وقلت لنفسى : ان الامر ان يكون فيه فرق على كل حال . .
افان الإقامة لمدة سنة لا يمكن ان تساوى عرضا بالزواج . وسألته :

— هل تزوجت بعد ؟

فقال وقد احمر وجهه وكان ذا قدرة محيية على الخجل :
— لا . . والحقيقة اننى احاول الحصول على اجازة خاصة ان
يمكننا ان نتزوج فى الوطن زواجا صحيحا .

وقلت :

— هل يكون الزواج اكثر صحة لو تزوجتما فى الوطن ؟

فقال :

— حسنا . . انه من الصعب ان اقول لك انت هذه الاشياء
والتماس ولكنه نوع من الاحترام . فان ابى وامى سوف يكونان
حاضرين فهى فرد جديد سينضم للعائلة . وهذا شيء مهم جدا
بالنسبة للماضى .

فقلت له :

— الماضى .

— انت تصرف لماذا لعنى . فانا لا اريد ان اتركها خاتمي وثنا
لوثتها شائبة .

— هل ستتركها هناك عند موديك ؟

— اعتقد هذا . . فان امى سيدة رائمة . وعليها ان تتركها المكان
وتقدمها الى الجيران والمعارف . وانت تعلم ذلك . انه نوع من
الدماجة فى الحياة وهى بذلك تساعدنا على إقامة بيت لى .

ولم أكن اعرف هل ارى لفونج أولا ؟ . فلقد كانت تأمل رؤية

ناطحات السحاب ، وتمثال الحرية . ولكن لم يكن لديها فكرة عما
يمكن ان تلاقه هناك : البرولسود ومسجيل واثافة السيدات .
هل سيعلمونها لعبة « الكافاستا » ، وقد كوت رؤيتي لها في اول
ليلة في ملهى « العالم الكبير » في نويما الأبيض وهي تتجول
برشاقة وقد بلغت من العمر ثمانية عشر ربيعا . وفكرت فيها منذ
شهر واحد وهي تسامح البائع على ثمن اللحم في محلّ الجزار
الذي يشارع « السموم » هل منجب المحلل الصغيرة البيضاء
الحاصة « بالبقالة » في « نيوانجلند » بأمركا حيث تلف حتى
المخسرات في ورقة سلوفان . ربما يعجبها ذلك . وبغربة وجدت
نفسى اقول له ما كان ييل يقوله في منذ شهر مضى ؟

— كن صبورا معها يا بيل وسهلا . ولا تحاول أن ترضي عليها
الأوضاع ، فهي قد تجرح وتنام مثلك ومثلها تماما .

— بالطبع . . بالطبع يا توماس .

— انها تبدو صغيرة وقابلة للكمز وهي ليست كتنالنا في
الغرب ولكن لا تعاملها على انها شيء للزينة .

— ان هذا مضحك يا توماس . كيف تحولت الاشياء . فلقد
كنت اخشى هذه المقابلة وظننت انك ستكون حفيفا .

— لقد كان لدى الوقت للتفكير هناك في الشمال . وكانت
هناك امرأة . واله شيء جميل ان تذهب معك فونج . ربما كنت
انا تركتها مع شخص مثل جيرانجر .

— وهل نستطيع ان نظل أصدقاء يا توماس ؟

— نعم . . بالطبع . . ما هذا انى افضل ألا ارى فونج ثانية ؟
وهنا ما يكفى لتذكيرى بها ويجب ان أبصت عن بيت آخر منكمما يكون
لدى الوقت .

فاعتدل في جلسته ثم وقف وقال :

— أنا في غاية السرور يا توماس . ولا أستطيع أن أعبر لك عن
حزوري . ولقد قلت ذلك قبل هذه المرة وهو أنني كنت أود لو أن
نحسنا غيرك .

— أنا عسرور . أنه أنت يا بيل !

وكانت المقابلة على غير ما توقعت . وكانت سلاجته التي
تضايقت منه قد فعلت فعلها في نفسي . وبحكم من أعمال بعضي
قد انتهيت إلى صفة ، فلفقد فلرنت مثاليته وأفكاره قبر الناضجة
القائمة على أعمال يورك هاردينج بواقعيته الجافة ، فوجدت أنه
يرغم معرفتي للحماتي فإن له الحق كذلك في أن يكون شابا وإن
يخطئ وأنه أفضل مني بالنسبة لقناة صخرة تقضي معه حياته .

وتصانحنا . ولكن نوما من الخوف لم يكنل بعد في نفسي
جعلني أصحبه إلى أول السلم وأندبه . وربما كان هناك في أعدي
الإنسان متنبه بالأحداث مثلما يكون في نفسه حكم على الأشياء
حيث يقرر حكمه الصحيح على الأعمال . وقلت له :

— بيل . . لا تعتمد كثيرا على أقوال يورك هاردينج

قرفع بصره إلى من أول درجة في السلم رجال :

— يورك ؟

قلت :

— أنا نحن — الإنجليز المستعمرين القدامى — الذين مستحكم
قوى هذا المجال يا بيل . وقد تعلمنا حقيقة واحدة وهي ألا نلجأ
بأموال الثغاب وهذه القوة الثالثة التي تتكلم عنها جاءت من خلال
صفحات كتاب ليس إلا .

وبدا لي كأنه ينظر إلى من خلال فتحة صندوق يريد ليري من
الذي يتكلم وبعد أن رآه أغلق غطاء فتحة الصندوق لكيلا يرى
التكلم .

وقال وعينه غير موثقتين :

— أنا لا أعرف ماذا تقصد يا توماس .

ـ قتابل الدراجات هذه . لقد كانت مزاحا جميلا يرغم أن
رحلا فقد قمه . ولكنك يا بيل لا يمكنك أن تشق بالجنرال تري .
ما امثاله لن ينقلوا الشرق من الشيوعيين ونحن نعرف امثالهم »

فقال :

ـ نحن ؟

فقلت له :

ـ الاستعماريين القدامى .

ـ كتب اظن انك لا تنضم الى أحد الطرفين .

ـ أنا لا أنضم الى احدهما يا بيل . ولكن اذا اراد شخص في
المفاوضة أن يعقد الأمور قلبك ذلك « جو » . اذهب الى الوطن
مع فونج وانس القوة الثالثة .

فقال :

ـ انني بالطبع اقدر نصائحك وسوف اراك من قريب »

ـ اعتقد هذه .

ومرت الاسابيع ولم أستطع أن اعثر على سكن جديد . وليس
ذلك سبب انه لم يكن لدى وقت فان الازمة السنوية للحرب قد
مرب . وخيم الجو الرطب الحار على مناطق الشمال وتراجع
الفرنسيون من « هواينه » وحطة الأرض انتهت لا توتكين . وكان
باستطاعة دومنجز أن يرقب كل ما يجري في الجنوب . وأخيرا
تمكنت من حمل نفسي على رؤية مسكن جديد في بناء حديث في
النهاية الأخرى من شارع كاتينات وبجوار الكونستال . وهو بناء
أقيم زمن معرض باريس الدولي في سنة ١٩٣٤ وكان قد بناه أحد
زراعي المخطوط كغيره في سابون وكان يرد إليه بكل ما يحويه
من اثاث ومعدات . وكان بالمسكن لوحات محفورة من مصروضات
هارون باريس بين سنة ١٨٨٠ - ١٩٠٠ ، وكانت أحسن اللوحات
في المجموعة لوحة تمثل امرأة ذات صفر معتاة « وتبرجة »
غريبة للشعر ، ورداء صغير حول نصفها الأسفل يكشف عن الجزء

الأكبر من نطنها . وفى غرفة الحمام كان المالك الأصلي للمنزل أكثر
حجرة بمجموعة من الأرواب . وقلت له :

— هل تحب الفن .

وتراجع الرجل كأنه زميل مشترك فى مؤامرة . وكان يدينا
ثلاث شارب أسود وشعره خفيف . ثم قال :

— أنا أحسن صورة فى باريس .

ورأيت « طغاية » السجائر بالفة الطول فى حجرة الطمس
وهى تمثل امرأة مارية « والطغاية » محفورة فى شعره . كما
تجاهدت تحفا صينية تمثل فتيات عاريات يحتضن نورا . وفنساء
نصفها الأعلى من جسدها عار وهى تركب دراجة . وفى غرفة
النوم وفى مواجهة سريره الضخم علقت لوحة زيتية تمثل فتاتين
عاريتين تلمان معا . وسألته عن ثمن المسكن بدون التحف ولكنه
لم يرض إلا ببيع الاثنين معا . وسألنى :

— آتت من هواة جمع التحف ؟

فقلت :

— لا .

فقال :

— إن لدى مجموعة من الكتب استظم أن أركوا به أبى مؤلف
أأخذ بعضها إلى فرنسا .

وفتح عكسة لها « واحدة » زجاجية وأخرج منها مجموعة واحدة
من المجلات مثل « أمريت » و « نانا » ومجموعة أخرى من
الكتب .

وقال :

— لو أنك عشت فى الأقاليم الحارة بمقدوك لمفدت أن مثل
هذه المجلات تعد صحية يقطع الإنسان بها الوقت .

وفكرت فى قونج بسبب بعدها عنى . وقلت للرجل :

— لا أعتقد أن الجريدة التي أعمل فيها تسمح لى بشراء مجموعة
المنية .

فقال :

— إن المجموعة لن تذكر فى الإصدار »

وكنتم مسرورا لأن بيل لم ير هذا الرجل . ولم يكن بيل فى
محااجة الى مفت أشد للاستعماريين القدامى حتى يراه .

وعندما خرجت من المنزل كانت الساعة حوالى الحادية عشرة
والنصف ، وتوجهت الى أحد المقاهى لتناول قهح من البيرة . وكان
المحل الذى قصده مجعنا للنساء الأوريات والأمريكيات فى
المدسة وكنت سأكفدا من أنسى لى أرى فونج هناك . بل كنت أعرف
بالنايد ابن فونج فونج فى مثل هذا الوقت من النهار ولم تكن
هم بالفتاة التى تغير من « عاداتها » ولذلك فأنى عبرت الطريق
لأتحبس محل بيع اللبن حيث تشرب مشروبها المفضل من الشكولاته
المثلجة فى هذا الوقت من النهار وجلست على المنضدة المحصورة
بين امرئيتان وهما فى غابة الأناقة والنظافة برفق الحر اللامع
ويندولان الأيس كريم ، وكانت كل منهما تحمل حقيبة على كتفها
الأسمر وعلى كل حقيبة صورة نسر من النحاس — أما سيقانهما
فكانت طويلة ورشيعة وأحدهما تتساولان الأيس كريم وقد ركزتا
اهتمامهما فيه كأنهما تجريان تجربة فى أحد معامل الكليبات »
وسألت نفسى : هل هما من زميلات بيل . فلفقد كانتا رائعتين
ووددت لو تمكنت من ترحيلهما الى الوطن . . وانتهتا من تساؤل
الأيس كريم ونظرت أحدهما الى ساعتها وقالت :

— يحسن بنا أن نذهب لى تكون فى الجانب الأيمن »

وتعجبت لى مبعاد هما مرتطتان به . وقالت أحدهما :

— إن وارن قال : أنه يجب ألا نتأخر عن الحادية عشرة وخمسين
وعشرين دقيقة .

لردت الأخرى

— لقد فكت الوقتة —

— ان في البقاء لثمة . وانا لا افركا من حقيقة الامر شيئا .
هل تعرفين انت ؟ —

ليس بالقيبط . . ولكن وارن قال يحسن بنا الا نفعل .
— هل تعتقدين انها مظاهرة ؟ —

وقالت الاخرى بالظاهر كساحة رات الكثير من الكنايس .
— لقد رأت مظاهرات كثيرة .

ودفعت هذه ووضعت على المائدة ثمن ما شربنا . وقبل ان
تفادر القهى نظرت حولها وعكست المرايا صورهما من كل اتجاه .
ولم يكن في القهى سواى وفرنسية متوسطة العمر منهكة في
اصلاح زيتنها بعناية ويدون قائمة . اما هاتان الأمريكيتان فلم
يكونا محتاجان الى زيتنة من نوع ما . بل كل ما كان محتاجان اليه
هو امرار قلم الروج بسرعة على الشفتين وامرار المشط خلال
الشعر . ولعدة لحظة استقر نظر تلك الواقعة على . ولم تكن نظرتها
لفرة اسرأة بل نظرة رجل . عريضة مستقيمة تنتظر لوما من
العمل . ثم استنارت بسرعة الى زميلتها وقالت :
— يحسن بنا ان نذهب .

ورقبتهما يكسل وهما تخرجان جنباً الى جنب الى الشارع
المشمس .

ولجأة اتاهر هذا العالم حولي . فقد تناثرت المرايا من حولي
وطارت شظاياها الى حيث جلست وسقطت الفرنسية على الارض
بين حطام المقاعد والناضد وكلت حقيبتها ما زالت مفتوحة في
حجري . اما انا فقد ظلت جالسا حيث كنت برغم أن المنضدة
التي كنت اجلس عليها قد انضمت الى الحطام حول الفرنسية . وملا
بحو القصص صوت غريب . صوت ناقورة يتدقق منها الماء بانتظام
وتيب . ونظرت ناحية الباز ورايت صفوفاً من الزجاجات المحطمة اخذاً
ينساب منها هذا الخريز والصفرة غير الصافية للباستيس تسليح

كلها على الأرض وجلست الفرنسية ونظرت بهدوء حواها الى حقيع
يدها وفمها وباولتها اينها وشكرتني وهى جالسة على الأرض وربما
لم أسمعتها جيدا . وكان الاتعجلو قريبا جدا للدرجة ان طبلتى اذنى لم
تعودا الى حالتها من وقع الضغط الا بعد مدة . وسألت نفسى
امهزلة اخرى من مهائل البلاستيك ؟ وماذا ينتظر مسر هونج منى
ان اكتمب الآن . وعنلما وصلت الى الميدان دل الدخان الكثيف على
ان المسألة لم تعد هزلا . وكان الدخان يتصاعد من السيارة الواقعة
فى الموقف أبعد لها أمام المسرح القومى . وكانت أجزاء السيارات
المحطمة متناثرة على أرض الميدان وهناك رجل قد طارت مساقاه
مازال يتنوى على الأرض بجوار حدائق الزينة . وكان الأهالى
يتجمعون من شارع كاتيننت ومن شارع يونارد ودوى صسوت
صغاريت سيارات البوليس وأجرىس عربات الإسعاف والجريق
التي جاءت من كل ناحية ولغرة وجيزة فسيت ان قنوج تكون
« عدد » فى محل اللبن من الناحية الأخرى من الميدان وكان
الدخان سحب الجانب الآخر من الميدان ولا أستطيع ان أراه .

وحطرت ناحية الميدان وأوقعتنى أحد رجال البوليس الذين
تصربوا بلبس حول حافة الميدان لمع الأهالى من التجمهر وأخذ حملة
المعاقب لسل الجرحى يصلون . وقلت لرجل البوليس املنى ؟

— ار، لى صديقا فى الجانب الآخر مدعى امير اليه .

فقلت :

— ان كل فرد هنا لديه أمدةله .

وتنحى جانب ليدع أحد المسس يمر وحاولت ان أبيع القيس
بغير أنه جذبني فقلت له :

— اننى ممثل الصحافة .

وبعت عيساي فى محفظتى عن بطاقة تحقيق الشخصية قيس
انى لم أعثر عليها وسألت نفسى : هل خرجت من المنزل اليوم
يدونها ؟

وقلت له :



— طرأ الاقل قتل لي ما الذي حدثك لحمل اللين ؟
وانتقمع الدخان بعض الشيء وحاولت أن أرى غير أن الجماهير
بحالت بنى وبين الرؤية . وقال رجل اليوليس شيئا لم أسمعه •
وقلت له :

— ما الذي قلته ؟ .

فقال :

— لا اعرف . . تراجع الى الخلف ، اناك تحاولين حملة
النفالات وتادية عملهم .

وساءلت نفسى مرة أخرى . . هل سقطت بطاقتى فى المقهى ؟
واستدريت لكى اعود لأبحث عنها ورايت بيل وصاح :
— توماس •

وقلت :

— بيل . . بحق الله أين جواز موروك . يجب أن تعبر الميكان
إن فونج فى محل اللين •
فقال :

— لا . . لا •

فقلت له :

— بيل . . انها تذهب هناك فى الحادية عشرة والنصف دائما
يجب أن تبحث عنها •

— انها ليست هنا يا توماس •

— كيف عرفت ؟ أين جواز موروك ؟ •

— لقد حظرتها عدم انذهاب •

واستدريت ناحية رجل اليوليس وأنا أنوى أن أدفعه جانبا
داجرى الى الجانب الآخر للميدان وقد يطلق على الرصاص غير آتية
كيم ابال . ثم وصلت الى عقلى الباطن كلمة بيل • حظرتها • قسادهل
نفسى : ماذا يعنى بكلمة حظرت •

— لقد قلت لها لا بد أن تبتمد من المحلّ هذا المساح .

وتكلمت الصورة في ذهني وقلت :

— وكذلك « وارن » من هو « وارن » . لقد حذر هؤلاء البنات
كذلك .

فقال :

— لست أفهم ما تقول . يجب ألا يكون هناك ضحانا أمريكان
اليس كذلك ؟

وشقت صوبة اسعاف طريقها خلال شارع كاثينات الى
الميدان وتحرك رجل البوليس الذي منعتني لكي يدعها تمر . وكان
رجل البوليس المجاور له مشبكاً في حوار . قدفمت يدي امامي
في الميدان . قبل أن يستطيعوا منعنا . وسرعان ما وجدنا أنفسنا
ضمن مجموعة من المصابين وكان في استطاعة البوليس مع أناس
يحدد من دخول الميدان بسد الطرق المؤدية اليه . ولكن لم يكن في
استطاعته احلاء الميدان كلية من شاطئيه . وكان الأطباء مشغولين
عن الموتى بمعالجة الجرحى . وتمرك الموتى أن يتعرف عليهم .
وجلست امرأة على الأرض مع ماتبقى معها من طفلها وبسوع من
التواصع غطت المرأة باقى اشلاء الطفل بالقبعة العريضة التي
تلبسها وكانت جالسة في صمت ومكون ، والذي اثر في السكون
المخيم على الميدان . وكان الجو يشبه جو كنيسة زرتها مرة في اثناء
القداس وكانت الأصوات تصلح « فقط » من الذين يقومون بتجدة
المصابين عدا افراد متفرقين من الأوربيين الذين كانوا يكون ثم
يعاودون الصمت كما لو خطاوا لتواصع وحبر الشرق وتمالكة
لزام نفسه . ورايت الحذخ العائد المأبين يتوارى المدة مازال
يتلوى كفرخ مذبح فقد رأسه . ومن قميصه عرّبه انه سائق
هربة . وقال بيلى :

— انه لفظيح .

ثم نظر الى حذائه الملول وقال بصوت متحشرع :

— ما هذا ؟

فقلت له :

— انه دم . كم تراه قبل الآن ؟

فقال :

— يجب على ان انظف الحذاء قبل ان اقلل الوزير .

ولا اعتقد انه كان يفهم ما يقوله . فلقد كان يرى الحروب الحقيقية لأول مرة . فلقد شاهد طرقا منها في « قات ديم » وعلى كل فان الخنود في نظره لا اهمية لهم .

وقلت له :

— ماذا يمكن ان يفعل برميل من دبولكتون ؟

فأرغمته بوضع يدي على كتفه على أن ينظر حوله . وقلت له :

— وفي الساعة التي يكون فيها البدان مملوءا بالأطفال والنساء لأنها الساعة التي يتسوقون فيها حاجاتهم . لماذا اخترعت هذه الساعة ؟

فقال :

— لقد كان مفروضا أن يكون هنا استعراض عسكري .

— وانت املت قتل بضعة ضباط . ولكن الاستعراض الذي

بالأمس يا بيل .

فقال :

— لم أكن أعرف .

فدفنته الى بقعة مملوءة بالدم حيث كانت نقالة موضوعة

وقلت له :

— كان يجب عليك أن تكون مملوءا تلك اصح .

فقال : هو ينظر الى قدميه :

.. لقد كنت عارح المدينة . وكان ينبغي عليهم ان يمتنعوا عن

وضع التنازل .

فقلت :

« وبذلك تفوتهم قرصة مشاهدة هذا المنظر .. هل كنت تتوقع أن الجنرال في تفوته مثل هذه القرصة ؟ »

— أن ما حدث كان أحسن بالنسبة له من قتل الجنود في الاستمراض . فالأطفال والتسلل جدد في الحرب ولكن الجنود إقداً في الحرقه وأن هذا القتل الجماعي سوف يشهر صحافة العالم وهذا ما يرمى اليه الجنرال في . وأنت بذلك قد ساعدته على اظهار نفسه على « الحريطة » بإيل — لقد وجدت القوة الثالثة التي تبحث عنها . اذهب الى المنزل وقل لغوج عن بطولتك الفذة فقله نقص من بنى وطنها بضخ عشرات .

« وبنى قسيس يدين وهو يحمل شبيهاً فوق طبق مغلى « يفوطه » وصمت ييل مدة طويلة وبدا عليه ان لونه شاحب وتبدأ أولئك على الإغماء وقلت لنفسي ؟

« وما العادة ؟ سيظل دائماً ساذجاً وأنت لا تستطيع أن تلوم السذج فهم دائماً أبرياء وكل ما تستطيع أن تفعله هو أن تسيطر عليهم أو تحوهم والساذجة نوع من الجنون . »
ثم قال ييل :

« ما كان يجب أن يفعلوا ذلك ، وخاصة في . لأبد أن الشيوعيين خضعوه . »

وكان يبدو بكلامه هذا أنه محصن بوابه الطبيعة وبجيلة وتركته واقفاً في الأبدان وسرت في شارع كاتينات حيث تسلك الكاثولائية الحمراء الطريق . وكان الناس يتدفقون عليها . « وكان عزاء لهم أن يصلوا من أجل الموتى وكان لدى ما أكون شاكراً عليه . ألم تكن فوج حبة ؟ ألم تطرد الذي حدث ؟ ولكن لم يبرح مخيلتي صورة الجدع اللئيم بجوار الحديقة وبقايا الطفل لقي جبر أمه . وغير ذلك ممن لم يكونوا مهمين ولم يحلهم أحد . »

وكي سكر العرش العسكري كما كان متوقفا اليه يتقنوا هم موجودين
 كذلك لاجد التطلع وحسب المشاهدة الجنود وسماع الخطب ورجع
 الزهور . وماذا يمكن ان تفعله قبلة زمنية زنة متنى وظل ؟ ولم
 الكولونيل يموتون لكي يبرر بموتهم بعثرة اشلأ ظفلا ؟ حتى حجب
 له او قطع ساقى سائق حرية يكسب بذقه من ساقيه وجريه
 لمرتبته . ان كل هذا لا يهم في نظر البعض ، واوقفت حرية
 يموتون وظليت من صاقتها ان يصحني الى رصيف ؟ ميتا
 بالمجاهد

الفصل السادس

لقد أعطيت قونج نقودا لتصبح اختبئها الى السجما حتى
تكون بعيدة عما يحدث وفي سلام وخرجت لتناول العشاء مع
«دومنجيز» وكنت في غرفتي ثانية عند الماشرة تماما عندما حض
«فيجو» واعتذر لعدم قبوله كاسا وقال :
- انه نهب للغاية .

ولناول كاس قد يجلب النعاس الى عينيه ولقد كان اليوم
محافلا بالأحداث وطويلا بالنسبة له وسألته :
- حوادث قتل وموت فجائي ؟

- لا . سرقات صغيرة ، وبعض حالات الانتحار ، فهؤلاء الناس
من أهل البلاد ينجون المظاهرة وعندما يفقدون كل شيء فإنهم يقتلون
أنفسهم وربما لم أكن جطت من نفسي رجل بوليس ، لو عرفت
الوقت الطويل الذي على أن أقضيه في «المشرفة» بحكم وظيفتي
فأنا لا أحب رائحة الامونيا . . وربما أرغب الآن في قلدح من
البيرة .

- ليس لدى تلاجة ، ولذا فليس لدى بيرة .

- على كل . . فان كاسا من الويسكي تكفي .

وتذكرت الليلة التي توجهت فيها معه الى «المشرفة» وأخرجوا
أقيها جثة بيل كأنه صينية من مكعبات الثلج وسألني «فيجو» :
- وعلى ذلك فانت لن ترحل الى الوطن ؟

- اترك سؤال عتي ؟

- نعم .

ومدحت لدى بكاس الويسكى اليه حتى يرى مدى لباتعصاني
وقلت له :

- فيجو . اني اود ان تقول لي : لماذا تعتقد ان لي صلة بمقتل
بيل ؟ . وهل ذلك له دافع وهو اني اريد ان استرد فونج ؟ وهل
يتميل ان قتله كان انتقاما لفقدى اباها ؟
فقال :

- لا . نانا لست قبيحا . فالانسان لا يأخذ كتاب مدونه كشيء
للذكرى وهاموذا كتابه على رف كتبك « مسئولية الضرب » من
هوبوك هاردنج ؟
فقلت له :

- انه الرجل الذي بحث عنه يا فيجو . انه هو الذي قتل
بيل من مسافة بعيدة .
- اني لا افهم ما تقول .

- انه صحفي من نوع راق وهم يطلقون عليه اسم مراسل
كابلوايسى فهو سيظهر عليه فكرة ما . لم يحاول ان يفهم من كل
موقف لكي يجعله يتشوى مع فكرته . وقد جاء بيل هنا رؤاسته
بهملوه بأفكار بورك هاردنج - وقد مر هاردنج بسايجون مدة اسبوع
في طريقه من نانجوكوك الى طوكيو وقد اخطأ بيل بمحاولة تطبيق
نظرية هاردنج - فلقد كتب هاردنج من قوة ثالثة تحمّل معنى
التوازن بين الشيوعيين وبين الاستعماريين القدامى وقام بيل بتكوين
قوة ثالثة من رئيس عصافيت صخر معه العان من الرجال . روج من
الأمور المستأنسة . وكانت النتيجة انه اختلط عليه الأمر .

فقال « فيجو » :

- أما انت فلا يختلط عليك الأمر أبدا .
- لقد حاولت الا ارج بنسى في مشاكل .
فقال .
- ولكنك لم تنجح يا فولر .

ولسبب ما فكرت في الكائن « توبين » واليلة التي قضيتها
معها والتي بدت كأنها ممت عليها سنوات . ترى ما الذي يرمى إليه
أقبحو . هل يقصد أننا سوف نجد أنفسنا مشتركين في الصراع
إن عاجلا أو آجلا تحت دافع شعور ما ؟ وقلت :

— أنك تصالح لأن تكون قسيما صالحا يا قبحو، فأنت تستطيع
أن تجعل المرء يعترف لك بكل شيء لو كان لديه ما يعترف به .

— أتى لم أطلب يوما ما أى اعتراف .

— ولكنك تتلقى هذه الاعترافات .

— من وقت لآخر .

— هل لأن وظيفتك كالقسيس تجعلك لا تدهش من أى اعتراف
بل تكون عطوفا عندما يقول لك المحرم : يا سيدى . يجب أن أقول
لك بالضبط لماذا خطمت راس السيدة المعجوز فتقتول إليه نعم
يا جومستاف على مهلك وقل لى لماذا فعلت ذلك .

فقال قبحو :

— أن لك حبالا خصبا . ألم تكن تمسك الآن يا قولر ؟

— من المؤكد أن السكر غير حكيم بالنسبة للمتهم وخاصة إذا
مسك مع ضابط لبوليس .

— أنا لم أذكر قط أنك مجرم .

— ولكن افترض أن السكر قد جعلنى أرغب فى الاعتراف فإن
أقبحو مهتك بكمية مهمة القسيس ليس هناك أسرار للاعتراف .

فقال :

— أن السرية نادرا ما تكون مهمة بالنسبة لرجل يعترف حتى
لو كان الذى يعترف له قسيما . فإن له دواعيه الأخرى .

فقلت :

— أجل . من أجل الراحة ضمير .

قال :

— ليس دائما . تأحيانا يريد المذنب أن يرى نفسه كى وتصبح
لما هو عليه . وانت لست مجرما يا فولر ولكن احبب ان امرنا لماذا
تكلبت على . فلقد رايت بيل فى ليلة موته .

قلت :

— ما الذى يجعلك تظن ذلك ؟

— أنا لا يخطر على ذهنى أنك قتله . فانت لا تستطيع أن
تستخدم فى قتله سوتكى . هذه هى المعلومات التى وصلت إلينا ،
ولقد قلت لك ذلك بوعظ أن هذا لم يكن سبب موته فلقد مات
أفراقا .

ورفع فيجو كامه لأصعب له كاما أخرى وقال :

— دعنى استعد ما حدث . لقد تناولت كاما فى الكونستنتال فى
الساعة السادسة وعشر دقائق اليس كذلك ؟

— طلى .

— فتابع كلامه : وفى السادسة وخمس وأربعين دقيقة كنت
تتكلم مع صحفى آخر على باب فندق المانجستك .

— نعم . مع ويلكنز . لقد قلت لك ذلك يا فيجو قبيل هذه
الليلة .

— نعم . فلقد تحررت عن صحة أقوالك — وأنه لأمر عجيب أن
تحمل هذه التفاصيل الدقيقة فى رأسك .

فعلت له :

— أكثر مراقب صحفى يا فيجو .

— ربما كان التوقيت فى حركاتك ليس مضبوطا . ولكن ما من
أحد بلومك لو قصيت ربع ساعة هنا وعشر دقائق هناك ، فانت
ليس لديك سبب لكى تعتقد أن الوقت أهمية برغم أن الأمر يشك
أفيه حدا أو أن توقيتك لم يكن كذلك كان مضبوطا جدا .
فغيب له :

- ألم يكن توقيتى مضبوطا جدا ؟
 - ليس مضبوطا تماما . فلقد كانت الساعة السابعة وخص
 دقائق عندما كنت تتكلم مع ويلكنز .
 فقلت :
 - فرق عشر دقائق اخرى ؟
 فقال :
 - بالطبع وكما قلت فان الساعة كانت تمام السادسة عندما
 وصلت الى الكونغرس .
 فقلت :
 - ان ساعتى سريعة بعض الشيء . كم الساعة لديك الآن ؟
 فنظر فى ساعتى وقال :
 - العاشرة وثمانى دقائق .
 فقلت له :
 - ولكن ساعتى تشير الى العاشرة وثمانى عشرة دقيقة .
 ألا ترى ؟
 ولم يهتم فيجوب بالنظر الى ساعتى وقال :
 - اذن فالوقت الذى كنت تتكلم فيه مع ويلسنكز كان فى
 الساعة السادسة وخص وعش من دقيقة على حسب ساعتك . ان
 هذه تميز لحظة كبيرة اليس كذلك ؟
 فقلت :
 - ربما ضبطت الوقت فى عقلى . وربما ضبطت ساعتى فى
 هذا اليوم . فانا احببنا العمل ذلك .
 فقال فيجوب :
 - ان ما يهمنى . هل لى من قليل من الصودا ؟ فلقد عطشتى
 الويسكى قويا هذه المرة وهل معنى ذلك انك غاضب منى ؟ فان
 الاستجواب ليس شيئا محببا كم استجوبك الآن .
 فقلت له :

— اتى أجد الأمر مسليا كما لو كان قصة بوليسية . وعلى كل
الآت تعرف انى لم أقتل بيل . وانت قلت ذلك .

فقال فيجو :

— انا لم أعلم انك لم تكن حاضرا مقتل .

فقلت :

— انما لا اعرف ما الذى تريد أن تثبت به فان نظري انى كنت
هنا خيرا أو متقدما عشر دقائق هنا أو خمس دقائق هناك .

فقال :

— ان ذلك يمنع الانسان وقتا أطول . فهى نفرة فى التوقيت .

— وقتا لعدل أى شئ .

— لأن يعرض بيل ويراك .

— لماذا ترغب كثيرا فى اثبات ذلك ؟

— بسبب الكلب .

— وبسبب الطين الذى وجد بين مخالفه .

— انه لم يكن طينا ذلك الذى وجدناه بين مخالفه . بل كان
أسمنتا . هل فهم ؟ ففى مكان ما فى تلك الليلة عندما كان الكلب
يتبع بيل فان الكلب مر على أسمنت مبتل . وتذكرت انه فى «الطابق»
الأرضى الذى تسكنه كان هناك بعض السائقين يعملون . وقد رأيتهم
الليلة كذلك فى أثناء حضوري اليك فهم يعملون ساعات طويلة فى
هذه البلاد .

فقلت :

— انى لأعجب كم بيتا فى سابون الآن فيه بناءون وحوله
أسمنت مبلول . هل ذكر أحدهم رؤية الكلب هنا ؟

فقال فيجو :

— بالطبع لقد سألهم عن ذلك . ولكنهم لو رأوا الكلب هنا
يها قال لى أحد منهم ذلك . فانا رجل بوليسى .

وتوقف عن الكلام واضطلع قى مقعده وحلق بالنظر الى الكاس التى فى يده واحسست بكن تفكره قد انصرف الى شىء بعيدا ورحلت ذبابه على ظاهر يده ولم يحاول أن يبعدها . وشعرت بقوة غير دافعة وغير مرئية . وربما كان يدنو الله فى سره .

ووقفت وتوجهت ناحية غرفة النوم . . لم يكن فى الفسحة سوى أريكة عدا البعد مدة عن هذا الصمت الجاثم على الكرسي . وكانت البومات الصور الخاصة بفونج قد عادت ثانية الى مكانها على الرف . وقد تركت لى تقرافا بين اوتى المستحضرات التجميلية التى تستخدمها وربما كانت مرسلة من ادارة الجريدة فى لندن . ولم تكن لدى رغبة فى الاطلاع عليها وكان كل شىء يبدو كما كان عليه قبل أن يظهر بيل فى أفق حياتها . فالغرف لا تنغير بظل ما تزين به الغرفة فى مكانه فلا تغيير عدا أن القلب يدوى . . وصلت الى غرفة الصالون ورفع فيجر الكاس الى شفتيه وقلت له :

— ليس لدى ما أقوله لك . ليس لدى شىء على الإطلاق .
فقال :

— أذن سوف أرحل . ولا أعتقد أنني سأضايقك مرة أخرى .
وعند الباب استدلت ثانية كما لو كان لا يريد أن يقطع الأمل فى الوصول الى شىء وقال :

— لقد كان غريبا منك أن تذهب لترى الرواية التمثيلية فأننا لا نعتقد أنك تهتم بروايات الدراما . ماذا كتبت الرواية ؟ هل كانت « روبن هود » ؟
فقلت :

— اعتقدت أنها رواية « سكاراموش » وكانت اسمها باتى قى حاجة الى ما يشغل ذهنى .
فقال :

— الى ما يشغل ذهنك ؟

أقلت ، أشرح له ما أفضله بـ«نحو»

« نعم » فنحن جميعا لدينا ما نشتغلنا يا كيجو .»

وعندما رحل قيجو كانت هناك ساعة مكرّاة باقية على مجرى
تولج والتعمور بالحياة . وكان غريبا ان اقلقتني زيارة قيجو . فلقد
بدأ لي كأنه شاعر قد أحضر لي ما نظمه لكي أفقده وبسبب اهتمام
مبنى قد حظيت ما نظمه . فلقد كنت رجلا بلا مهمل « والمسرة
لا يستطيع ان « يعتبر » الصحافة عملا جديا ولكني أستطيع ان
أرى معنى العمل الجدى لدى رجل آخر والآن وقد رحل فيجب
لكي يحفظ منه الذى لم يستكمل وودت لو أنه كان لدى الشجاعة
لكي أتأديه وأقول :

« انك علي حق » - فلقد رأيت بيل في ليلة مقتله .»

الفصل السابع

فى طريقى الى « رصيف » الميناء مررت بعدة هربات الاسعاف
كافية من ناحية الحى الصينى فاصلة الجدران ، والانسان يستطيع
ان يقيس مدى الانعامات بالشاعر التى تظهر على وجوه الناس
فى الشوارع ، وعندما وصلت الى الحى الصينى كان فى امكانى
سمرة الاخبار . فالحياة مندفة وطبيعية وغير معوقة . فما من
أحد كان يدرى شيئا . ووجدت سكن المستر شو وصعدت الى
منزله ولم يتغير . فى منذ زيارتى الأخيرة . فالكلب واقطة يتحركان
من الأرض الى الصناديق ثم الى الحقائق . كما لو كانا زوجا من
الفرسان فى لعبة شطرنج . وكان الطفل يلحف على الأرض
والرجلان العجوزان مازالا يلعبان لعبتهما . ولم يكن غالبا سوى
الشباب من أهل البيت وماكنت اظهر فى مدخل الباب حتى أخذت
امرأة تصب الشاي فى القدر وحطمت السيدة العجوز على السرين
ونظرت الى قدميهما وسألت :

— هل المستر هنج موجود ؟

وهزئت راسى ممتنعا ان اتناول الشاي فلم اكن فى حالة تسمح
لى بان ابدأ فى سلسلة من شرب اقداح الشاي المر . وقلت
بالفرنسية :

— اتى اوتوب فى مقابلة المستر هنج .

وكان يبدو مستحيلا ان اتهمهم ضرورة رؤيتى له ، غير ان
رفضى لتناول الشاي قد سبب بعض الانزعاج ، او ربما كنت مثل
ميل يوجد دم على حبلتى وعلى كل فاته بعد عاخر قليل قادتنى
احدى النسوة الى الخارج وهطنا السلم وقادتنى خلال شارعين

مزدحمين بالأعلام المرفوعة والحركة وتوكننى أمام ما يطلق عليه كى
وطن بيل على ما اعتقد « صالون جنترات » وهو محل مملوء
بالجرار النخارية الضخمة حيث توضع عظام الموتى من الصينيين
وقلت لأحد الصينيين الواقفين بالباب :
« أين مستر هنج »

وخيل الى ان التوقف فى هذا المكان توقف مناسب فى يوم
بدأ بمشاهدة مجموعة زارعات المطاط من النساء عم برؤية الأجساد
المتناثرة فى الميدان وأخيرا برؤية جرار دفن الموتى لدى التساير
الصينى . ونادى شخص ما من الداخل وتلقى الصينى جقيبا
وقال « ادخل » ورأيت هنج قلما نحوى مآذيه المعتاد لم قادنى الى
مجرة صغيرة مصغوف فيها كراسى مصفوفة غير مريحة من الكراسى
الصينية التى تجلس فى كل بيت صينى بدون استعمال . ولكنى
رأيت أن هذه الكراسى كانت مشغولة فقد رأيت خمسة أقباح
صغيرة على المنضدة ومنها اثنان لم يتم ضرب الشئ المصبوب فيهما
وقلت :

« لقد قطعت عليكم اجتماعكم »

فقال المستر هنج :

« انها مسائل تجارية غير ذات أهمية . وأنا اكون مسرورا
عائدا بمقابلتك يا مستر فولو »

فقلت :

« لقد جئت من ميدان جارنيير »

فقال :

« هكذا ظننت »

« لقد سمعت ما حدث »

« لقد أخبرني أحدهم ثلثين .. ورأيت من الأفضل النعت
عن منزل المستر شو لفترة ما وصوف يكون البوليس متسحرا
والقصر على كثيرين اليوم »
فقلت له :

— ولكنك لا دخل لك فيما حدث من لقاء القنصل »
فقال :

— ان من وظيفة البوليس أن يجد من يلقي اللوم عليه »

— لقد كان بيل هو الفاعل مرة أخرى .

— نعم انه بيل .

فقلت :

— لقد كان شيئاً فظيماً ذلك الذى حدث »

فقال :

— ان الجنرال لى ليس بالشخصية التى يمكن التحكم فيها »

فقلت :

— ولكن اللعب بقنابل البلاستيك ليس للأطفال القادمين من

« بوستى » . من هو رئيس بيل يا هنج ؟

— ان لدى الثقة بأن مستر بيل هو سيد نفسه والمسئول عن

أفعاله .

— ما هى وظائفه ؟ وهل هو فى قسم مكافحة الجاسوسية ؟

— ان وظيفته والقسم الذى تتبعه لسا مهمين .

— ما الذى يمكن أن أفعله ما هنج ؟ فانه يجب اتقائه .- هذه

الأممال .

— تستطيع ان تشر الحقيقة فى الجريدة التى تمثلها .- أو أنك

لا تستطيع ؟

فقلت :

— ان جريدتى ليست مهتمة بأخبار الجنرال لى . انها مهتمة

وأخبار بلدى وطنك يا هنج .

فقال :

— هل تريد حقيقة أن يوقف المستر بيل عن الأفعال التى يقوم

بها يا مستر فولر ؟

فقلت :

— لقد رأيت يا هنج وهو واقف يقول : إن ما حدث كان غلطة
محزنة فإنه كان من المفروض أن يكون هناك استعراض من هذه
الساعة . كما قال أنه يجب عليه أن يطمع حذانه قبل أن يقابل الوزير
المفروض .

فقال :

— إذن أنت بالطبع تستطيع أن تذكر للبوليس ما تعرفه من
نشاطه .

فقلت :

— إن البوليس قد مهتم بالجنرال في ذلك . وهل تعتقد أن
البوليس يجرؤ على من أمر بكى . فإن له حصانة دبلوماسية .
وهو خريج جامعة هارفارد والوزير المفوض يحب بيل جدا . هنج .
لقد رأيت امرأة في الميدان قتل طفلها فقامت بتغطية ما بقي من جسده
في حجرها بتجعتها المصنوعة من القش وأنا لا أستطيع أن اتى هذه
الصورة كما رأيت مثل هذه المناظر البشعة والترع مملوءة بالجثث
أقوى . فأت ذم .

فقال :

حاول أن تكون هادئا بلستر فولر .

— ما الذي سوف يفعله في المدة القادمة يا هنج ؟ كم من
القنابل والقنابل من الأطفال يستطيع أن يتسبب فيهم برميل من
« الديونكون » ؟

فقال :

— هل أنت على استعداد لمعاونتنا يا بلستر فولر ؟

فتأملت كلامي قائلا :

— لقد جاء مقتحموا البلاد وكان الناس يموتون نتيجة لأخطائه .
والعنى لو أن بنى وطنك يتمكنوا من قتله في أثناء رحلته عبر
النهر إلى « نام دينه » فإن ذلك كان قد غير كثيرا من مصير حياقة
الكثيرين .

— انى متفق معك يا مستر فولر ، ويجب أن نملك بومانية
ولدى أفراج ، قلعه .

وسجل رجل خارج الغرفة سعة خفيفة ثم بصق بصوت
مرتفع ، وتابع هنج كلامه قائلا :

— لو دعوتك الى العشاء هذه الليلة فى مطعم الطاحونة بين
الثامنة والنصف والتاسعة والنصف .

— وما الفائدة ؟

فقال هنج :

— سوف نكلم معه وهو فى طريقه اليك .

— هل يكون ليس بمفرده .

— ربما يكون احسن لو دعوتك الى زيارتك فى المنزل فى
السادسة والنصف وسوف يكون بمفرده فى مثل هذه الساعة
ومن أؤكد انه سحضر واذا امكن ابقاؤه لتناول العشاء . تظهر من
مأمله ، سكتك كم لو كنت تريد ان تشاهد منظر الصروب .

فقلبه له :

— لماذا ادعوه الى مطعم الطاحونة بالذات ؟

— لآر الميامس مجاور « للكونبرى » المؤدى الى « ماكو » وانقلب
أنا . رف يستطيع ان نجد مكانا نكلم فيه بدون ان يزعجنا احد .

فقلبه له :

— وماذا سوف تفعل ؟

— أنت لا تريد ان تعرف ذلك يا مستر فولر . غير انى اعلمك
يا أسا سوف تعمل بمنتهى الرفق بقدر مايسمح الموقف .

وسمعت صوت اصدقاء هنج يتحركون فى الخارج كما لو كانوا
أقارباً حلف الحائط وتابع هنج كلامه :

— هل تفعل ذلك من أجلنا يا مستر فولر ؟

فقلت :

« أنا لا أعرف » أنا لا أعرف »

تقال هنج :

« ان عاجلا أو آجلا على المرء ان ينضم الى احد الحائسين لشي
أفميا »

وبدأت كلام الكابتن « ترون »

وتركت مذكرة في المفوضية الأمريكية اطلب فيها من بيل ان يمر
على المنزل وميرت في الشارع قاصدا قنفذ التوتنشتال
للتناول كأسا . وكان الحطام المتناثر من قمل القنبلة قد ازيل
وقامت فرقة الحريق بغسل الميدان من الدم . ولم تكن لدى فكرة
وقتها كيف أن الزمن والمكان سوف يصبحان مهمين . فكرت في
البقاء جالسا طوال المساء مقلدا ميمادي مع بيل . ثم فكرت في
أننى ربما ألجج في أخافة بيل وجعله يتبعد عن العمل لدى يوم
به بتحذيره من الخطر الذي يترقبه أيا كان هذا الخطر . ومن ثم
انتهيت من شرب قذح البيرة الذي طلبته وذهبت الى المنزل ومهدما
وصلت الى المنزل اخلت انى الا يحضر بيل . وحاولت القراءة
ولكن لم يكن لدى من الكتب ما يمكن ان يصرفنى عن التفكير وربما
كان على ان ادخن لأهدى أعصابى . واخلت انصت برعم لرادى
الى صوت وقع اقدام وآخرها سمعتها . وقرع شخص الباب وفتحت
الباب فوجدت « دومنجيز » وقلت له :

« ماذا تريد يا دومنجيز ؟

تنظر الى نظرة نلل على الدهشة وقال وهو ينظر فى ساعته :

« ماذا تريد ؟ ان هذا هو ميعاد حضورى دائما - هل لديك
تلغرافات تريد ان ترسلها ؟

فقلت :

« انى آسف لقد نسيت . ليس لدى تلغرافات .

فقال :

- ولكن ألا تريد أن ترسل شيئا عن القنبلة ؟ ألا تريد أن تكتب
خبراً عنها ؟
قلت :

- اكتب شيئاً عنها يادومنجيز وأرسله - فانا لا أدري ماذا اكتب
وخاصة انى قد رأيت أنا نفسى المسعد وربما قد اثر ذلك فى
أعصابى . وأنا لا أستطيع التفكير فى كتابة الخبر على هيئة برقية .
وضربت يدى ناموسة أخذت تطن حول أذنى ورأيت دومنجيز
يتراجع من فعلى بالناموسة فقلت له :
- لم يحدث شيء يادومنجيز لقد أخطأنا .

فابتسم بمسكنة فهو لا يقر القضاء على حياة مخلوق حى وعلى
كل فهو مسيحي . وسألنى دومنجيز :
- هل هناك شيء أستطيع تأديته لك ؟

وكان دومنجيز لا يشرب الخمر ولا يأكل اللحم ولا يقتل أحداً
وحجده على رقبته فى تفكيره . ثم قلت له :
- لا يا دومنجيز اتركنى الليلة .

ورقبته من أسافذة وهو يسم فى الشارع ولمحت أحد سائقى
« الرشوة » قد « ركن » عربته تجاه المنزل بجوار « الرصيف » .
وحاول دومنجيز أن يستأجره ولكن الرجل هز رأسه بالرفض
وربما كان ينتظر « عميلاً » داخل أحد المحال ، لأن المكان الذى وقف
فيه لم يكن موقفاً للعربات . وعندما نظرت فى ساعتى راعنى أنه لم
يمر سوى عشر دقائق على انظلمى فى المنزل . وعندما قرع بيل
الباب لم اسمع حتى وقع قديمه . وقلت :
- أدخل .

ولكن « كالعادة » كان كلبه الذى دخل أولاً . وقال بيل :
- لقد كنت مسروراً عندما تلقيت رسالتك فقد ظننت أنك كنت
قائماً جداً منى حتى هذا الصباح .
قلت له :

— ربما كان ذلك صحيحا فان المنظر فى الميدان لم يكن جميلا .
فقال :

— لقد أصبحت تعرف الآن الكثير . ولن يزدى ان أقول لك شيئا آخر . لقد قابلت فى بعد الظهر .
فقلت :

— رأيتك ؟ . هل هو فى سايجون ؟ . أعتقد أنه جاء ليرى نتيجة انفجار قنبلته .
فقال :

— لقد علمته مخشونة ياتوماس وأبنته .

وكان ييل يتكلم كأنه رئيس فريق رياضى فى مدرسة وقد أخطأ أحد أفرادَه فلم ينفذ التعليمات والتدريبات وعلى كل فقد سألته بنوع من الأمل :

— هل أعلنت له مقاطعتك إياه بعدما فصل ؟
فقال :

— لقد ذكرت له أنه لو قام بأى عمل غير متفق عليه فسوف تنفض أيدينا منه .
فقلت :

— ولكن ألم تنفض يدك منه بعد يا ييل ؟

ودفعت الكلب بصبر ناعدا وذلك لاقترابه منى . ثم قال ييل :

— لا أستطيع . اجلس يا ديوك . لا أستطيع مقاطعة الجنرال فى لأنه الأمل الوحيد لنا فى المدى الطويل ولو تمكن من الوصول إلى السلطة بمعاونتنا فائنا نستطيع الاعتماد عليه .
فقلت له :

— كم من الناس يجب أن يقتلوا قبل أن تحقق ما تريد .
وتحقق أن ...

— أتحقق أى شيء يا توماس ؟
فقلت :

- تحقق ان السياسة ليس فيها شيء اسمه الاعتصاف
بالجميل .

لقال :

- على الأقل فهم لن نكرهونا كما نكرهون الفرنسيين .

- هل انت متأكد من هذا - فاحيانا يكون لدينا نوع من الحب
لأعدائنا واحيانا نشعر باليغضب لأصدقائنا .

- انت تكلم كاوريى يا توماس . فان هؤلاء الناس ليسوا
معتدين .

- هذا هو ما تعلمته فى أشهر قليلة . وبذلك فسوف ندعوهم
بالأطفال فى المرة القادمة ؟

لقال :

- حسنا . . . انهم فعلا كذلك بطريقة ما .

فقلت :

- اوجد لى طفلا واحدا غير معتد يا بيل . عندنا تكون أطفالا
فاننا تكون غاية متشاككة من التعميدات . ونحن نصبح اكثر
« بساطة » كلما تقدمنا فى السن . ولكن ما الفائدة من الكلام معك
فان مناقشاتنا نحن الاثنين كانت تقوم على غير الحقيقة .

وقعت من جلستى واتجهت ناحية رف الكتيب فقال بيل :

- هم يتحدث يا توماس ؟

قلت :

- اتى ابحت عن عبارة كنت مفرما بترديدها . هل يمكنك ان
تناول معى العشاء يا بيل ؟

- اتى كنت احب ذلك يا توماس . وانا فى غاية السرور لانك
لم تعد غاضبا منى وانا اعلم أنك لا تتفق معى ويمكن ان يختلف فى
الرأى . اليس كذلك ومع هذا نظل اصدقاء .

فقلت :

- أنا لا أعرف ، أنا لا أعتقد هذا .
- على كل فإن دوبيج كانت أكثر أهمية من ذلك كله .
- هل تعتقد حقيقة ذلك ماييل ؟
- ولماذا ؟ أنها أهم شيء بالنسبة لى وبالنسبة لك يا توماس .
- ليسى بالنسبة لى حاليا .
- لقد كانت الصدمة عنيفة اليوم يا توماس . ولكن بعد أسبوع
- صوف ترى فسوف تنساها فنحن قد قمنا بالعنصرية يا تاربي
- الضحيا .
- ماذا تعنى نحن ؟
- تقال :
- لقد أبقنا الى واشنطن . وسوف نحصل على الآن
- بإستخدام بعض أموالنا هي معونة الضحايا وأغاريهم .
- وقاطعته قاتلا :
- هل تقابلنى عند مطعم الطاحونة فيما بين التاسعة والثامنة
- والنصف ؟
- أى مكان تحب يا توماس .
- وذهبت الى النافذة ورايت الشمس قد اختفت خلف السطوح .
- وكان صائق العربى مازال منتظرا على الرصيف . ونظرت اليه
- ورفع وجهه الى ، وقال ييل :
- هل تنتظر أحدا يا توماس ؟
- لا . فأتى قد وجلت القطعة التى كنت أبحث عنها .
- ولكى أخفى قصدى عنه أخذت اقرا وأنا أرفع الكتاب ناحية
- الضوء الغارب :
- « وسرت خلال الطرقات ولم أبال بشيء وحقق الناس الى
- بالنظار وساءلوا من أكون ؟ ولو كان لدى فرصة لكى أسحق ضربا
- قانى استطيع تحمّل الأضرار لو كانت كبيرة وأنه لأمس بحث على
- السرور ان يكون معك تفرد . أنه لشيء مبهج ان يكون معك يهود . »

وقال بيل بنوع من الاستنطاط :

— انها قصيدة مضحكة .

فاجبتا :

— ان الشاعر كان رجلا ناعيا من شعراء القرن التاسع عشر ولم

يكن هناك كثير على شاكلته .

ونظرت ثانية الى الشلوع . فوجلت سائق العربة مد رحله

وقال بيل :

— هل فرع الخصر مع مثلك ؟

— لا ولكنى ظننت أنك لا تحب أن تشرب . .

فقال بيل :

— ربما اكون قد ابتدأت الحرد وذلك بسببه تأثيرك على ، وامتنع

أنك طيبة معنى يا توماس .

واحضرت الزجاجاة والكؤوس — ونسيت أحد الكؤوس في

المرة الأولى . وكان على أن احصر الماء وكان كل ما افعله في ذلك

المساء يستغرق منى زمنا طويلا . وقال بيل :

— أنت تعلم ان لى عائلة طيبة ، ولكن ربما كانوا متحفظين بعض

الشيء ولدينا منزل من المنازل القديمة في شارع من شوارع بوستن

الجميلة على اثنى العساعد الى المرفق في المدينة وامى تروى جمع

الزجاج . اما ابى فعندما لا يكون مشغولا بصله فانه يهوى جمع

اصول كتب دارون والنسخ السادرة من كتبه . وانت ترى أنهم

يعيشون في الماضي وربما لهذا السبب كان ليورك هاردنج هذا

التأثير على فان كتاباته تفتح الأبواب على الأحداث الجديدة في

العالم اما ابى فهو من المتوحدين الذين يؤثرون الانفراد .

فقلت :

— ربما كنت أحب والدك فانا نتوحد كذلك .

وبالنسبة لرحل هادى فان بيل كان مترثا في هذا المساء ،

ولم اصح كل ما قاله لان عقلى كان في مكان آخر . وحاولت ان

أقنع نفسي أن المستر هنج لديه وسائل لاسكات بيل غير الوسيلة
العنيفة ولكن في حرب مثل هذه كنت أعرف أنه ليس هناك وقت
للتردد - والآنسان يستخدم السلاح الذي بيده - فالفرنسيون
يستخدمون قتابل النابالم ومستر هنج يستخدم السككين أو
الرصاص - وقتل لنفسى متأحرا بالطبع : أنتى لم أخلق لأكورفاضيا
ولو تركت بيل يتكلم لمدة ثم حقوته ما ينتظره على يد المستر هنج
وأمواله فإنه يستطيع قضاء الليل بمنزلى وهم لن يحاولوا قتله
فى منزلى . وسعته يتكلم عن مريته وهو يقول :

- لقد كانت بالنسبة لى احسن من امى - وكانت حاضرة فى
صنع فطائر التوت .

وفاطمت بيل وقالت له :

- هل تحمل معك مسدسا الآن - منذ تلك الليلة التى كسا
قبتها فى البرج ؟

فقال :

- لا . فلن لادبنا أوامر من المفوضية .

- ولكنك تقوم بأعمال خاصة ذات طابع معين .

- أن حملى للمسدس لن يفهم من الواقع - ولو أرادوا قتلى
فباستطاعتهم ذلك وفى الكلية كانوا يسموننى الوطواط .. لأن
فى استطاعتى أن أرى فى الظلام ..

وتوجهت ثانية ناحية النافذة ، وكان هناك سائق عربه منتظرا
ولم أكن سأأكد فانهم كلهم يبدوون متشابهين لى ولكن أصف
أنه سائق آخر ، ربما كان ينتظر حقيقة أحد «الزبائن» وحظر لى
أن بيل قد يكون أكثر احنا فى المعوضة ، ولابد انهم قد رسموا
نخطتهم منذ أن أعطيتهم الإشارة لى ينفذوها فى المساء عند
كوبرى « داكو » . ولم أكن أستطيع أن أفهم كيف ولماذا اختاروا
المكان ؟ ومن المؤكد أن بيل ليس مفعلا الى فوجاة الركوب والمرو
فى حى «داكو» بعد المساء حيث أن الحراسة لا تكون الا فى
ناحية واحدة من «الكوبرى» .

وقال بيل :

- انسى انكلم وحدى ولا أعرف لانا ولكن هذا الكلام
بالذات أشعر بالحاجة الى الكلام .

فعلت له :

- تكلم ، فانا فى حالة هادئة ، وهذا كل ما فى الأمر ويحسن
بنا ان تلمى هذا الموعد على العشاء .

فقال :

- لا ، لا تفعل ذلك حيث انى كنت لقد شعرت بانى قسرا
انفصلت عنك منذ .. حنا ..

فاكملت له :

.. عند ان انفصلت حياى ..

ولم اسطع اخفاء مرارة الجرح الذى سببته لنفوسى ..

وقال بيل :

- لا . انا لا اعنى ذلك . وعلى كل حال لقد تكلمنا معا فى تلك
الليلة . اليس كذلك ؟ كما لو كانت ستكون الليلة الأخيرة لنا ..
ولقد عرفت الكثير منك يا توماس فى تلك الليلة وانا لا اتفق معك
عقليا . ولكن بالنسبة لك فان البقاء على الحياد قد يكون
صحيحا . وانت تحافظ على حيادك هذا بكل ما تستطيع حتى بعد
ان كسرت ساقك فقد بقيت على الحياد .

فقلت له :

- ان هناك دائما نقطة للتحول من هذا الحياد . وربما دفع
الانسان لها لحظة عاطفية .

فقال :

- انت لم تصل الى هذه النقطة بعد . وأنت فى انك سوف
تصل اليها وانا كذلك لا اعتقد انى سوف أنفجر الا اذا مت .
وقال ذلك بمرح فقلت له :

- حتى بعد ما حدث في هذا الصباح أليس ذلك كافيا لأن يتحول الرجل عن آرائه .
فقال :

- أن الذين ماتوا هذا الصباح كانوا من ضحايا الحرب .
وإنه لأمر يبعث على الشفقة . ولكنك في الحرب لا تستطيع دائما أن تصيب الهدف المقصود .
فقلت له :

- هل كنت تقول مثل هذا القول لو أن مريبتك التي تصنع لك مطائر التوت قد ماتت الميتة نفسها .
فتجاهل النقطة وقال :

- على كل فذلك تستطيع أن تقول أنهم ماتوا في مسييل
تحقيق الهدف .
فقلت :

- أنا لا أستطيع أن أعرف كيف يترجم قولك هذا إلى اللغة الفيننامية .

وفجأة شعرت بالتعب الشديد وأردت أن أعترف بسرعة ويذهب لكي يقتلوه . . وبذلك أستطيع أن أبدا الحياة من جديد من النقطة التي قطعها عند ظهوره في مسرح حياتي . وقال لي :

- أنت لن تأخذني مأخذ الجد يا توماس .

ثم قال :

- إن فونج في السيئنا فما رأيك في أن نقضى المساء كله معا فليس لدى ما أفعله الآن .

وبدا لي وكأننا كان هناك شخص من الخارج يواجهني لكي يخبر كلماته ليخبرني من كل علم ممكن اتعلم به . وتابع كلامه :

- لماذا لا نذهب إلى الشاليه ؟ قاتنا لم أذهب إليه منذ الليلة

التي كنا فيها معا هناك والطعام جيد مثل طعام الطاحونة وهناك
الموسيقى .

فقلت له :

« أي أفضل إلا أتذكر تلك الليلة »

فقال :

« انني آسف ، فانا في بعض الأحيان أكون مغفلا يا توماس
وما لك في عشاء صيني في حي «شولون» ؟
فقلت له :

« لكي تحصل على مشاء ممتاز في الحي الصيني بصحبة
أن أأمر به قبل ذهابك بعدة ساعات ، هل تخاف من مطعم الطاحونة
يا بيل ؟ أن الأسلاك الشائكة محيطة به تماما وهناك البوليس
يستمرون فوق «الكويري» ، وأنت لست مغفلا حتى تفكر في
السير في حي «فاكو» . »

فقال :

« ار الأمر ليس كذلك وإنما فكرت أن الأمر يكون مسليا
لو أنه طعنا أن نطيل من سهرتنا -

وتحرك مثل فاروق كاسه على الأرض وأخذت التلطف الشطايا
وأضعها في المظلة فقال بسرعة :

« حط سعيد ، أنا آسف يا توماس »

وأخذت التلطف الشطايا وأضعها في المظلة . وفكرني الزحاج
المتطايير بزجاجات الخمر المنسكة في البار وقت انفجار القنبلة
وقال بيل :

« ما رأيك يا توماس فيما قلت ؟ لقد حدثت قونج .. انني
صاكون منك -

وقلت لنفسى : تبدو كلمة « حدثت » سيئة للغاية ، والنمط
شطية من شطايا الكاس المكسورة وقلت :

- الى مرتبط بموعد في الماجستك فلا أستطيع مقابلة قبل
الفاصلة .

فقال بيل :

- حسنا . اعتقد ان على ان اعود الى المكتب وأما انمنا آتات
دائما من أن يطلوني في المكتب ؟

وقلت لنفسى :

- انه ليس هناك ضرر في اعطائه هذه الفرصة الوحيدة
وقلت له :

- لا تبال اذا تأخرت عن الميعاد - ولو عطلوك في المكتب فم
على ها في المنزل لسوف اعود في الساعة العاشرة لو لم تمكن
من تناول المشاء معى وسوف أنتظرك .
فقال :

- سوف أخبرك بما قد يحدث .

فقلت :

- لا نهتم . ان كل ما عليك أن تحاول مقابلتي في مطعم الطاحونة
أو تقابلني هنا في المنزل .

وبذلك يمتح الفرصة للحياة مرة اخرى وقد تكتب له النجاة
اذا قد يجد ظفرا على المكتب بآخره أو رسالة من الورير المعوض
يقتضى الأمر سرعة الرد عليها .
وقلت له :

- اذهب الآن يا بيل ، فليدى أعمال اريد ان افهمها .

و شعرت بالتعب وأنا اسمعه يغادر المنزل وصوت مغالب كلبه
على الأرض .

وعندما خرجت من المنزل لم اجد عربات للايجار بجوار المنزل
وسرت على قلبي الى فندق الماجستك ، واحضت اشاهد تفريق
قاذفات القنابل الأمريكية وكانت الشمس قد غربت والعمال يعملون
على ضوء المصابيح الكشافات ولم تكن لدى فكرة عن محاولة خلق
دليل لايامد الشبهات على في حالة قتله . ولكنى قلت له :

— اتى زاهي الى « المجسنة » •
وعبرت بكتافتي لان المعادى في الكذب اكسر من اللوم
وسمعت من يقه •

— مساء الخير • يا فؤاد •
ولقد كلن ويلكنز •

فقلت :

— مساء الخير

فقال :

— كيف حال سائقك ؟ •
فاجبته :

— انها لا تؤلنى الآن •
فقال :

— هل أرسلت برقية بما حدث اليوم ؟ •
فقلت :

— لقد تركت الأمر لدومنجيز •
فقال :

— آه • لقد قالوا لي : انك كنت هناك ساعة الانفجار •
— نعم • ولكن الجرائد مزدحمة بالأخبار والجريدة لا توبخ
لثبنا من مثل هذه الأخبار •
فقال :

— ان المسألة أصبحت لا طعم لها • وكان الأجدر بك ان تكون
حبا في زمن الصحافة القديمة حين كانوا يرسلون بالبالونات •
وكان الصحفي يجد متسعا من الوقت لأن يكتب رسائل خيالية •
بل كان يستطيع أن يحرر مقالا عن الذي حدث اليوم وكنت تستطيع
في رسالتك الى الجريدة أن تسهب في وصف الفندق الضخم الذي
تتول فيه وروية قاذفات القنابل وتصف حلول الليل أما الآن فلم
يعد في استطاعتك وصف هذا حيث ان كل كلمة تكلفك الكثير عندما
ترسلها بالبرق •

وترأى الى آذاننا صوت قهقهتك ونظم أحدهم كاساً ملكاً
نظم بيل كاسه وقال ويلكنز :

- ان المصاييح تضيء على وجوه نساء جيلات ورجال شجاعت
مردداً بذلك قول لورد بيرون في قصيدته عن ليكة معركة واترلو
ثم قال :

- هل عندك شيء تعلمه اللبلة يا فولر ؟ هل ترغب في أن تمشي
بعضي ؟
فقلت له :

- اتنى سوف أتمشى في الطاحونة
فقال :

- أتمنى لك السعادة - ان جرائر موفت تكون هناك ويحتضن
بهم أن يملأوا عن الليال التي يقضيها جرائر لهؤلاء الذين يحبون
الضجيج في الحفلات
وقلت له :

- مساء الخير ودخلت دار السينما المجاورة وشاهدت فلما
الأميرول قلبي أو ربما كان تيرون بأور فأتانا لا استطع التمييز بينهما
هناهما يرتديان « البنطلونات المخرقة » « وأخذ البطل » يشقظ
على الحبال ويقفز من الشرفات ويركب الخيول غارية الظهر كل
ذلك بالألوان الطبيعية - وأتخذ البطل فتاة وقتل خصمه وعاش حياة
مملوءة بالمغامرات - وكان الفيلم من أفلام الصبيان وكنت أفضل
رؤية فيلم أو مسرحية أشاهد فيها صورة أوديب يمينيه يقطران دما
فمثل هذا الفيلم يعطى المرء مرافاً على مواجهة الحياة اليوم
وما من حياة خالدة فالكل له ماعته فلقد حالف الحظ بيسل في
« قات ديم » وفي الطبريق من « ثاني » ولكن الحظ لن يستمر
وامامهم ساعتان فقط لكي يشعروا أن الحظ معه قد انتهى وحل
بجوارى في السينما جيمى فرنسى وبجانبه فتاة وقد وضع يده على
صدرها وحشدته على « ساطته » مما يدخل في قلبه السعادة أو
الشفاء أما كان أحدهما وتركت السينما قبل أن تنتهي الفيلم - أحللت
حربة الى مطعم الطاحونة وكان المطعم محاطاً بالأسلاك الشبكية

لحمائته من قذف القنابل اليدوية ورايت جنديين في توبة حراسة
أبى نهاية «الكوبرى» - وقادنى صاحب المطعم الذى أكثر بالشحم
تجبة المائدة البريحية الى دى حلال الا لاء الشاة الى داخل
المطعم . وكان المذن تعوح فيه رائحة الزبد وتسمك اقلية بسبيك
الحر الخائق عند المساء وقلة وجود الهواء وقال لى :

- هل منتقم الى حفلة المسير جرانجر ؟

فقلت :

- لا .

فقال :

- هل تريد متفدة لشخص واحد ؟

تجعلنى ذلك أفكر لأول مره فى المستعبل والاجابة عن الاسئلة
التي يمكن أن توجه الى وقت له :

- أجل !

- لشخص واحد .

وقلت هذا كما لو كنت قد صحت بأعلى صوتي : ان بيل عاذا
- وكان المطعم حجرة كبيرة واحدة والمدعون الى حفلة جرانجر
يحتلون حفلة فى أحد الأركان فى مؤخره الحجرة وأعطاني صاحب
المحل حفلة صغيرة بحوار الاسلاك الشائكة . ولم يكن للتوافق
زجاج خوف نظائر شطاباه فى حالة قذف قبلة يدوية وتعرفت على
البعض من دعاهم جرانجر وانضيت لهم قبل ان اجلس . أما جرانجر
فقسه فقد اشاح عني بوجهه . وكنت لم أره من شهر منذ تلك
الليلة التي سقط فيها بيل فى حب فونج . وربما الملاحظة قاسية
قلتها في ذلك المساء قد دخلت رأسه من حلال بخار الكحول . لأنه
جلس وهو ينظر الى وقد قطب بين حاجبيه على حبي جلس معه
مدعووه يتضاكون وكان معه صاحب فندق فى أحد البلاد الصغيرة
فى الشمال وفتاة فرنسية لم أرها من قبل واثنا أو ثلاثة قد رأيتها
فى « البار » قبل ذلك وكان يبدو أنها حفلة هادئة .

وأمرت بعض المحلوى لآتسلى بها حتى أعطى بيل الوقت الكافى
للحضور وأحياناً لامتير الخطط وفق ما رسمت . وما دمت لم أشرع

في تناول عشائى فان ذلك يحىى الأمل فى حضوره • ثم تعجبت من هذا الأمل وما أرتجيه منه هل أرتجى التوفيق لفرقة مقلومة التجسس التى يتبعها • أو أتمنى التوفيق لقنابيل البلاستيك والجنوالم فى • أو أتمنى أنأ وحدى من دون الناس جميعا وعاء من العجزة وكلم يكون الأمر سهلا لو قتلنا نحن - الاثنين - على الطريق فى • ثان ين • • وجلست أتناول الحلوى لمدة عشرين دقيقة ثم أمرت بالعباء لأن الساعة قد بلغت التاسعة والنصف وهو أن يحضر الآن ورغمما عنى أخفت انصت لأى شىء ؟ لصرخة • أو لطلقة رصاص أو لحركة من رجال البوليس فى الخارج • وعلى كل حال فان من المحتمل ألا أسمع شيئا فقد أظمت حفلة جرانجر يتعالى اصوات اصحابها •

وكان صاحب المطعم الذى له صوت مقبول قد أخذ يقضى • وتطأير خطاه زجاجة شمبانيا وتابعه نان وثالث ولكى حرائر كان صامتا فقد جلس بعينه للحمرين يحلق عبر الغرفة • وسأله نفس : هل ستكون معركة بيننا فائتى لست • كفتا • لحرائر • وكان المدعوون يقفون وجلست بعد أن شمعت وفكرت لأول مرة رغمما عنى فى أن فوبج صالة وفى امان • وتذكرت كيف كان بيل وهو جالس على الأرض فوق سطح البرج ينتظر رجال الهيمنة وهو يقول :

— انها تبغو غضة مثل الزهرة وكيف ؟

اجبته :

— زهرة مسكية •

وقلت لنفسى :

— ابها الآن وبعد موته لى ترى وطنه أو تتعلم امرار لعبة الكاسنا • وربما لن يعرف الامان • والمضمان • فى حياتها • وسألت : نأى حق أقدرها ماقل من تقديرى للذين هاتوا فى الميدان هذا الصباح • وان الآلام لأمريه بزياده العبد بعد مغيب جسده واحده يحوى كل الآلام التى يمكن أن يشعر بها الكثيرون • ولقد

أصبحت حكى كصفحي على أساس العند وقد حثت بذلك القواعد
التي سرت عليها . فلقد أصبحت مستبكا في الصراع بين الطرفين
مثل بيل وبدا لي أنه تقدير أي شيء لن يبدو مهلا بعد الآن .
ونظرت إلى ساعتى فوجدتها العاشرة إلا الربع وربما كانوا قد أمسكوا
به . وربما أن أحدا ما يؤمن عو به قد قام بالعمل بدلا منه وجلس
الآن في دار المفوضية يحاول حل خفزة احلى البرقيات . وسرعان
ما أراء قادما يصعد في السلالم إلى مسكنى وقلت لنفسى :

لو جاء الليلة لقلت له كل شيء .

وقام جرانجر فجأة من فوق مصعدته وجاء ناحيتى ولم ير حذى
الكبرى الذى اعترض طريقه وكاد يسقط فاعتمد بيده على حافة
المنضدة التي اجلس عليها وقال :

— فاول . تعال الخارج .

— فتبعته الى الخارج برغم اننى كنت في حالة لا تسمح لي بمقاومة
ولكن في تلك اللحظة ما كنت ابالي لو ضرونى حتى يقضى على لاننا
نحن البشر لنا طرق قليلة نعبى بها عن شعورنا بالذنب .

واستند جرانجر على حافة . الكوبرى . واخذ رجلا البوليس
الواقفان للحراسة يرباننا من بعد وقال :

— يجب أن أتكلم معك يا فاول .

فاثربت منه في متناول يده وانتظرت فلم يتحرك دكان يبدو
في أنه مثال لكل ما أكرهه في أمريكا فهو في نظرى ذو مظهر غدير
بحسن مثله في ذلك مثل تمثال الحرية وكذلك لا يعبر عن شيء
بالتمثال تماما وقال دون أن يتحرك :

— أنت تعتقد أننى مهرج . أنت مخطئ في هذا .

فقلت له :

— أنا تريد يا جرانجر ؟

فقال :

« يجب على أن أتكلم معك يا فولر فانا لا أريد أن أجلس مع
هذه الضفادع الليلة - وأنا لا أحبك يا فولر ولكنك تتكلم الانجليزية
نوعا ما من الانجليزية »

واعتمد بجسده الضخم غير المحدود المعالم تحت الضوء الخافت
وأردت أن أعرف ماذا يريد »

فقلت :

« ماذا تريد يا جرانجر ؟ »

فقال :

« أنا لا أعرف ماذا يحبك بيل » ربما لأنه من بوسطن ، ولكنني
من « بشيرج » وأنا فقور بهذا »

فقلت له :

« ولماذا لا تكون فخورا ؟ »

فقال :

« حانتنا ثانية تتكلم بفعال » انكم معقر الانجليز تعتقدون
انكم خير من غيركم - وانتم تعتقد انكم تعرف كل شيء »

فقلت له :

« سمعت مساء يا جرانجر - ان لدى موعدا »

فقال :

« لا تنس يا فولر - أليس لديك قلب ؟ » وأنا لا أستطيع الكلام
مع تلك الضفادع »

فقلت له :

« انك مخبور »

فأجاب :

« لقد شربت كأسين من الشمبانيا - هذا كل ما هناك : أنت
مخبور أو تنس في مكاني ؟ ان عني أن أذهب الى المشايخ »

فقلت له :

« ولى ضرر فى هذا »

فقال :

« أنا لم أقل لك .. هل ذكرت لك .. ؟ واعتقد أن الكل يعلمون
« لقد تلقيت برقية اليوم من زوجى »

فقلت :

« نعم »

فتابع كلامه :

« لقد أصيب ابنى بشلل الأطفال وكانت أصابعه شديدة »

فقلت :

« أنا آسف لذلك »

فقال :

« لا عليك .. فإنه ليس إبتك »

فقلت :

« ألا تستطيع أن تعود الى الوطن بالطائرة »

فقال :

« لا أستطيع فإنهم يريدون مقالاً عن عملية حربية ملعونة
بالقرب من هانوى » وكوتولى مساعدى مريض »

فقلت :

« أنا آسف يا جراحى .. كلل بوى لو استطعت مساعدتك »

فقال :

« ان الليلة هي ليلة عيد ميلاد ابنى وسوف يبلغ الثامنة في
العاشرة والمصنف الليلة حسب التوقيت المحلى فى أمريكا .. ولهذا
السبب أقمت حفلة التسميات هذه قبل أن تصل الى البرقية .. وكان
على أن أقول للشخص ما أشعر به وأنا لا أستطيع أن أصارح هؤلاء
الضادع بشعرى »

فقلت له :

« انهم يستطيعون أن يفعلوا الكثير لمعالجة الضلّال هذه الأيام »
فقال :

« أنا لا أبالي إذا أصبح شخص يتنكر بشارف أن يشرب - زلّو
كنت أنا الذي أصيب بهذا المرض ما أصبحت شيئاً ، ولكنه يمثل
بذلك ، هل تعرف ماذا كنت أقبل على حين كان هؤلاء الملاعين
يشربون ؟ - لقد كنت أصلي - وطمّنت أنه إذا أراد الله أن يقبض
روحاً فإنه يستطيع أن يقبض روحي ويبقى ابني »

فقلت له :

« هل تعتقد في الله الآن ؟

فقال :

« بودي لو كنت مؤمناً »

ومر بيده على وجهه كما لو كان رأسه يؤلمه من ضلّال ولكن
حركة يده كانت لاختفاء الحقيقة وهي أنه كان يمسح الدموع من
عينيه . فقلت له :

« لو كنت في مكانك لجعلت نهي مخموراً »

فقال :

« لا - يجب أن أظل متيقظاً . فانا لا أريد أن أذكر بعد ذلك
أفني كنت سكران ليلة موت نسي وذكروني لا تستطيع أن تشرب
هل تستطيع أن تسكر هي الأخرى لتسي ؟

فقلت له :

« ألا تستطيع أن تحاطب العريضة التي تعمل معها ؟ »

فقال :

« ان كم بوللي ليس في الحقيقة في مرضاً . لقد سافر إلى
منطقة وراة فتساءل عنها . وعلى أن تمّ أعطيه ، والا فصلته
الجريمة »

وجمع جرائع جسده المكرو . قال :

— آسف إذا غفلت يا قوكر ، ولكن كان يجب أن أتكلم مع شخص ما • يجب على أن أعود الآن إلى المسعورين • وانه من المضحك أن أتكلم معك وأنت تكرهني •

فقلت له :

— أنا على استعداد للقيام بالرحلة بدلا منك ، وأستطيع أن ادعى أنها من عمل كونولمي •

فقال :

— لا • لن تستطيع فإن لهتك سوف تكشف الموضوع •

فقلت له :

— أنا لا أكرهك يا جرابجر ولكني كنت اعمى عن ملاحظة بعض الأشياء •

فقال :

— آه • أنت وأنا كنا كالكلب والقطعة ولكن أشكرك على كل سؤال على غفلتك •

وبللت نفس : هل أنا محتلف عن بيل ؟ أيجب على أن ادفع بقنمى في خضم الحياة قبل أن أرى الألم • ودخل جرابجر المطعم وسمعت الأصوات ترتفع انتهاجا بمعلمه ولم يكن حولي أحد ثم سرت في الشارع بدون أمل وهناك التقيت بعويج •

الفصل الثامن

وسألني لولج :

— هل زارك مسيو فيجو ؟

فقلت :

— نعم . لقد تركني منذ ربع ساعة هل كان الفيلم حسنا ؟

وكانت قد أخذت الصينية في غرفة النوم ، وقالت :

— لقد كان الفيلم محزنا للغاية ، ولكن الألوان الطبيعية كانت جميلة . ما الذي كان يريد مسيو فيجو ؟

فأجبت :

— كان يريد أن يسألني بصفة أسئلة .

فقلت :

— عن ماذا ؟

فأجبتها :

— عن هذا وذاك . وأنا لا أعتقد أنه سيضايقني مرة أخرى .

فقلت :

— أترحب الأفلام ذات النهاية السعيدة . هل أنت مستعد

للشرب ؟

فقلت له : وأنا مساق على السرير .

— نعم ، أنت مستعد .

فقال :

— نعم ، قطع رأس الفتاة .

فقلت :

— أرى شيء غريب جدا الذي فعلوه ؟

فقلت :

— إن ذلك كان زمن الثورة الفرنسية .

فقلت :

— آه ، فيلم تاريخي ، لقد فهمت .

فقلت :

— لقد كان الفيلم محزنا على أي حال .

فقلت :

— أنا لا أهتم كثيرا بما يحدث للناس في الأفلام التاريخية .

فقلت :

— وحبيبي ، لقد عاد ثانية إلى غرفته وكان بائسا فكتب أغنية
فأنت ترى أنه كان شاعرا ومرعانا ما أخذ الناس يفنونها حتى
أولئك الذين قطعوا رأس حبيبته . وكانت الأغنية هي المارسليز .

فقلت :

— لا يبدو أنه تاريخيا جدا .

فتأملت كلامها فقلت :

— لقد وقف هناك لدى الجموع التي أخذت تقى . وكان
شعوره مريرا وعندما كان يتشمم كنت تستطيع أن تشعر أنه أكثر
مرارة وأنه يفكر فيها . لقد بكيت كثيرا وكذلك بكى أخى .

فقلت :

— أحبك تبكي ؟ أنا لا أصنع هذا .

فقلت :

— أنها شديدة الحساسية . وكان مسرورا جرانجر السخنة
هناك . وكان مغمورا وأخذ يضحك في أثناء الفيلم . ورغم أن
الفيلم لم يكن مضحكا بالمرة . فلقد كان محزنا .

فقلت :

« أنا لا ألوم » . فإن لديه شيئاً يحتفل به فوله قد خرج من مرحلة الخطر . فقد سمعت ذلك في فندق الكونتنتال . وأنا أحب النهايات الجميلة كذلك .

وبعد أن دخت تملدت على ظهري ، ومنتقى فوق المخدة الجلدية وأرحت يدي فوق حبر فونج ومالتيها :

« هل أنت سعيدة ؟ »

فقلت بطعم أكثرى :

« بالطبع . »

ولم أكن استحق جواباً أحسن من هذا . وكذبت وقلت :

« لقد عادت الأمور إلى ما كانت عليه منذ سنة . »

فأجابني :

« نعم . »

فقلت :

« انك لم تشعري وشاحاً جديداً منذ مدة . لماذا لا تقومين بشره واحد في القدر ؟ »

فقلت :

« إن القدر يوم عيده . »

فقلت .

« نعم . بالطبع . لقد تمسيت ذلك . »

وقالت مرنج :

« انك لم تفتح المبرقية . »

فقلت لها :

« لا . لم افتحها لقد سميت ذلك وأنا لا أحب أن أفكر في

العسل القليلة - اذكرى لي ما شاهدته في الفيلم . »

فقلت :

« حسناً . ان حبيب الفتاة حاول أن يلقاها من السجن لي

ملابس صبي وقبعة رجل كالتي يلبسها حراس السجن . ولكن

بينما كانت تحتل بوابة السجن سقط شعرها فصاح الحراس :
« أرمستقراطية - أرمستقراطية »

« واعتقدان هذه غلطة في القصة . كان يجب عليهم أن يتركوها
تهرب لتتزوج حبیبها وبذلك يستطيع الاثنان أن يصبحا مملوكا كبيراً
من النقود عن طريق الأغنية وبذلك يستطيعان أن ينحبا إلى أمريكا
أو إنجلترا »

وأضافت كلمة « إنجلترا » بنوع اعتقحت هي أن فيه خبثاً
منها وذلك فقالت :

« يحسن بي أن أقرأ التلفراف » وأصرع إلى الله إلا يكون على
أن أسافر إلى الشمال في الغد . فأتانا أريد أن أبقى معك هادئاً .
وجاءت بالتلفراف من بين أواني الكريم وأدوات الريشة وأعطتني
إياه وفتحته وقرأت فيه :

« لقد فكرت فيما جاء بخطابك ثانية . وأنا أفضل ما كنت تسمناه
وطلبت من المحامي أن يعد إجراءات الطلاق على أساس الهجر
وليعاك الله » . « المحبة : هيلين »

وقالت فونج :

« هل عليك أن تصافر في الغد ؟

فقالت :

« لا . ليس على أن أذهب » خذى اقربيه - هاهي ذى النهاية
السميعة بالسببة لك » فقترت من فوق السرير وقالت :

« إن هذا جميل جداً يجب أن أذهب وأقول لأختي ، فانها سوف
تكون مسرورة وسوف أقول لها هل تعرفين من أنا ؟ أنا زوجة مسيو
أنوار الثانية »

وكان أمامي على رف الكتب كتاب هاردينج « مسئولية الغرب »
ورأيت فيه صورة بيل وهو رجل شاحب ذو شعر قصير ويجواره كليب
أسود عند موطنه قديمية .

وقلت اقولي :

« هل نفتقده كثيرا ؟ »

فقلت :

« من ؟ »

فقلت :

« بيل »

وكان غريبا الا أستعمل اسمه الأول حتى مع فونج »

وقالت :

« هل يمكنك أن اذهب اذا سمحت ؟ فان أختي سوف تذهب »

فقلت :

« لقد نطقت باسمه مرة وأنت تأتية »

فقلت :

« أنا لا أتذكر أبدا أحلامي »

فقلت :

« كانت هناك أشياء كثيرة تستطيع أن تملأها ، فإنه كان

فقلت :

« أنك لست بعجوز »

فقلت :

وناطحت السحاب ومبني الابواب ستيت »

فقلت بتردد « بسيطه »

« اني أريد أن أرى انجلترا »

فقلت لها :

« ان انجلترا ليست هي عظمة أمريكا . وأنا آسف يا فونج »

فقلت :

— لاي شيء تناسف ؟ ان البرقية عجيبة • وأخى •••
فقلت :

— نعم • اذهبى وقولى لاختك • ولكن قبلىنى اولا •
وقيلنى بفمها المضطرب على وجهى ثم ذهبت لأختها •

واستمدت ذكرى اليوم الأول وييل جالس بجوارى فى الكونستنتال
وهيناه ناظرتان الى المحل عبر الشارع • لقد سار كل شيء فى
مصلحتى منذ ان مات ولكن طالما تمنيت لو أن شخصا موجودا الآن
لكى اسطيع ان أقول له انى نادى على ما فعلت •

والتهى •

الكتاب المطبوع في دار المطبعة

الدرر القومية للطباعة والنشر

مركز النشر عام الفاتح

في العالم العربي
من القاهرة

يصدر عنها

كتاب

نيولور

لندن

الجندار

بيروت

طرابلس

بغداد

مخيم

الاسكندرية

القاهرة

جريدة الشرق الأوسط

جريدة نوار الوطن

ARAB
PRESERVER

DISSEMINATOR
OF
ARABIC

سكس
Saks
AND
ASSOCIATES

Le Soleil

الشمس

الشمس

12
1r
Bibliotheca Alexandrina
0540425

